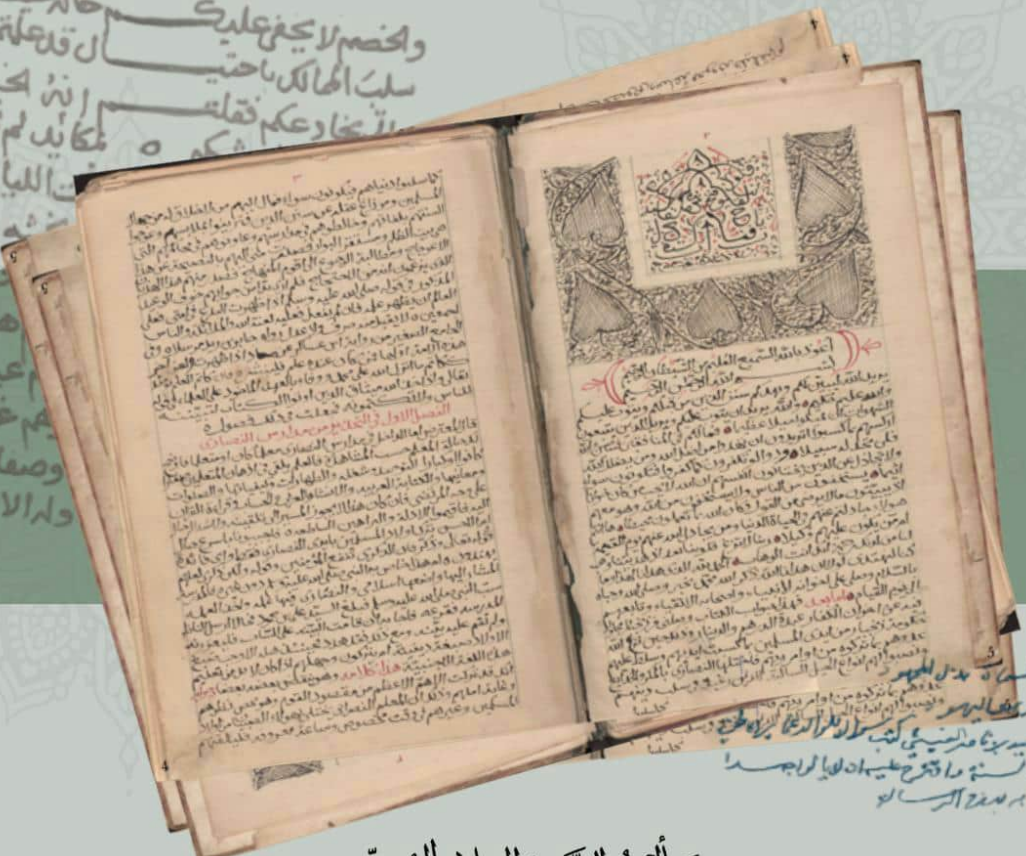




بِذَلِكَ الْجَهْمُودِ فِي مُمْخَالَفَةِ النَّصَارَةِ فِي الْيَهُودِ

والخصم لا يخفى عليك
سلب الحالك باحتياط
التي خادعكم فقلتم
حالة حيث انقلبت
ان قد علمت ما سلبت
ان لا تخل الحث
مكائد لم تحسب
التي اليالي وكجنت
مكر وقت
نيل تكتبت
هشما عثطت
معيد للعرب
هم غنائم نتهب
وصفاء ويرتقب
وله الامور كما يجب



هذه الرسالة من السيد العلامة المحقق
في فقه الشريعة السيد محمد بن محمد السالبي
رحمته الله عليه وسلم في كتابه
الاسم من كتاب السنة ما ذكره عليه السلام في الجاهلية
في الاثر - ١٣٣٢ هـ

تأليف الشيخ العلامة المحقق
نور الدين عبد الله بن محمد السالبي
عبد الله بن محمد وحامي حي الإسلام
(ت: ١٣٣٢ هـ)



بِذَلِكَ الْجَهْمُودِ
فِي مَخَالَفَةِ النَّصَارَةِ وَالْيَهُودِ

بَذْلُ الْجَهْدِ فِي مُخَالَفَةِ النَّصَارَةِ وَالْيَهُودِ

تَأَلَّفَ الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ الْمُحَقِّقُ
نُورُ الدِّينِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُمَيْدٍ السَّالِبِيُّ
عَمِيدُ الدِّينِ وَالْجِدَّةِ وَحَامِي حَقِّ الْإِسْلَامِ
ت: ١٣٣٢ هـ





﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾



الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلَاة والسَّلَام على رسول الله، وآله وصَحبه أجمعين، أمّا بعدُ:

فإنَّ (بذل المَجْهُودِ في مُخَالَفة النَّصَارَى وَالْيَهُودِ) رسالة سَطَّرها الإمام العلامة المحقق نور الدين عبد الله بن حميد السالمي^١ في الرد على كتاب أتاها من زنجبار معترضًا على نصائح الإمام في رفض التأثير بالاستعمار الأوروبي، وما فرضه وجوده - في زنجبار - من نمط حياة مغاير للنمط الإسلامي الموجود.

^١ الشيخ الإمام نور الدين عبد الله بن حميد السالمي (ت ١٣٣٢ هـ)، كف بصره - رحمه الله - وهو ابن اثني عشرة سنة، وكان في صباه حافظًا قوي الذاكرة، لا يكاد يسمع شيئًا إلا وعاه. وكان - رضي الله عنه - شديد الغيرة في ذات الله تعالى، لا تأخذه فيه لومة لائم، يقول الحق، وينطق بالصدق، مشهور بالبسالة والصلابة، مشغول البال بأمته، يفرح بما ينفعها، ويحزن لما يضرها، وإنه ليكتب إذا أصيب أحد من الأمة بحدث ولو بالصين. كان - رضي الله عنه - الركن الأعظم في إعادة الإمامة إلى عُمان ونيلها المرتبة العليا. وكان - عفا الله عنه - كثير التضرع إلى الله، فتراه في بعض الأحيان في مجلسه، أو في الطريق، أو في مصلاه، وقد رفع يديه إلى السماء قائلاً: لبيك اللهم لبيك، ثم ييسط يديه ويقول: اللهم اجمع الشمل، وألف بين القلوب، وأيد الكلمة، ونحو ذلك من الأدعية التي يرجو بها نظام المسلمين، وتجد ذلك في أجوبة المسائل عنه إذا تأملتها.

وكان - رحمه الله - أحد أقطاب الأمة المجتهدين، محققًا جليلاً، معروفًا بغزارة العلم والاجتهاد، إليه انتهت رئاسة العلم لعمان في زمانه. ويظهر ذلك من تأليفه الجملة الجلييلة في مختلف الفنون. قال عنه ابنه الشيبه: "كان ضرياً يحتاج إلى قائد يهديه السبيل، فأصبح يهدي الشعب السبيل. كان لا جند له إلا التقوى، وكفى بها، فأصبح يؤلف من الشعب جنداً. كان فقيراً لا مال له، فأصبح يجر الجيوش الضخمة، ويبتز المعاقل من أيدي الجبابرة والظلمة.

ما فقدناك هُماماً مفرداً بل فقدنا الخير في كل محل

انظر: نُهضة الأعيان بحرية عمان، أبو بشير محمد شيبه بن نور الدين السالمي، ص ٩٠.



وقد عبر كلا من المفكر الجزائري مالك بن نبي، والشيخ المعتقل إبراهيم السكران - فك الله بالعز قيده - عن هذا التغير في الحياة الاجتماعية نتيجة الدوبان في بوتقة المستعمر بتعبيرين مختلفين؛ إذ سمّا المفكر مالك بن نبي باسم (التكيف)، مشيراً إلى أن الاستعمار يعد فعلاً في ذاته، وطبقاً لقانون الميكانيكا الذي ينص على أن لكل فعل رد فعل^١، فإسقاط هذا القانون على الحياة الاجتماعية يتعين أن يكون لهذا الفعل (الاستعمار) رد فعل من الشعوب المستعمرة بادياً في "اتجاه الفرد ونزوعه إلى التكيف مع الوسط الذي يعيش فيه"، ومن صور هذا التكيف الثقافي: التشبه والاقتداء^٢.

وفي المقابل، نجد الشيخ المعتقل إبراهيم السكران - فك الله بالعز قيده - يشير إلى نفس المعنى بمصطلح آخر وهو (ظاهرة الخنوع لهيمنة الثقافة الغالبة)، وأطلق على المنهزمين لثقافة الغالب، المتشبهين به في ملبسه وعوائده وسائر أحواله بضحايا الاستبداد الثقافي^٣.

ومهما كان المصطلح المستخدم، إلا أن المعنى المعبر عنه واحداً، لذا جاءت هذه الرسالة لتعالج مشكلة التكيف على تعبير مالك بن نبي، أو هذا النوع من الاستبداد على تعبير الشيخ إبراهيم السكران، وإن كان على نطاق ضيق متمثلاً في جغرافية ضيقة كزنجبار، ولتعالج بعض عوارض وصور هذه المشكلة التي كانت ظاهرة في بعض أفراد المجتمع الزنجباري المسلم. ونجد ذلك مقرراً في مقدمة الكتاب، في قول الإمام - رحمه الله -:

"فهذا جوابٌ لِكِتَابٍ وَصَلَنِي مِنْ زَنْجِبَارٍ، مُجَادِلاً فِيهِ عَنْ إِخْوَانِ الْكُفَّارِ، عَبْدَةُ الدَّرْهِمِ والدِّينَارِ، وذلك حينَ نَزَعَ اللهُ حُكُومَةَ زَنْجِبَارٍ مِنْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ... فَمَالَ إِلَيْهِمْ مَنْ لَا خَلَقَ لَهُ مِنْ جُهَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ زَاغَ عَقْلُهُ عَنْ سَنَنِ الدِّينِ،

^١ قانون نيوتن الثالث.

^٢ شروط النهضة، مالك بن نبي، دار الفكر، ط ١٨، ص ١٦١.

^٣ سلطة الثقافة الغالبة، إبراهيم السكران، مركز تفكير للبحوث والدراسات، ط ١، ص ٢٨.



فَتَزَيَّنُوا بِمَلَابِسِهِمْ، وَعَوَّجُوا أَلْسِنَتَهُمْ بَلْغَائِهِمْ، وَخَالَطُوهُمْ فِي مَدَارِسِهِمْ، وَعَاوَنُوهُمْ فِي مَحَاكِمِهِمْ...^١.

وإن هذه الرسالة لتوقظ النائم الذي قد سحره الغرب بماديته وجاهليته، وتنبه الغافل الذي غُيِبَ عن حقائق العدو التي سطرها القرآن له، إذ تكشف في سطورها دسائس النصارى، والدسائس جمع دسياسة، وهي المكيدة والحيلة الخفية، وإتًا بهذا اللفظ نلقي الضوء على سياسة الغرب الدنيئة التي ما تغيرت مع تعاقب الأجيال منهم، كأنما جبل الله هؤلاء الكفرة المردة على الحق وذرياتهم من بعدهم على الدنيء من الصفات وذميم الأخلاق، وقد صدق الإمام السالمي حين قال في جوهرة:

حَرْبُ النَّصَارَى الْيَوْمَ بِالذَّوَاهِي وَالْكُلُّ مِنَّا غَافِلٌ وَلَا هِي
فِيأُخَذُونَ الدَّارَ بِالْخَدَائِعِ وَإِنَّهَا أَقْوَى مِنَ الْمَدَافِعِ^٢

فتجدهم يعملون ويحكيون للأمة التائهة من تحت الستار، وهم أمامها يلعبون دور الأب الحاني لهذه الشعوب المسلمة المسكينة التي دمرها ومزقوها إربا إربا، فيسترون عنها أنيابهم بأقنعة ملمعة، ويخفون عنها مخالبتهم بقفازات من حرير، فانطلت الحيلة على العقول الجاهلة المهزومة المسكينة.

ومع كشف الإمام لتلك الدسائس والغاية التي تقف خلفها، ضمن - رحمه الله - رسالته القيمة خالص نصحه، وعزيز وعظه موضحا لضحايا الاستبداد الثقافي الطريقة التي بها يخرجون من هذا الخنوع الذي يعيشونه، والتي بها يتنفسون الاستقلال الحقيقي المتكامل، فلا يبقون أرقاءً لمستبد ثقافي يُشْرَعِن^٣ ثقافته الغربية وهويته الدينية.

وأهم وسائل العلاج على الإطلاق - كما يراها الشيخ إبراهيم السكران - والتي نراها حاضرة في كلمات الإمام - رحمه الله -: ضخ مفاهيم العزة، والكرامة، والإباء،

^١ انظر في هذا الكتاب، ص ٢٨-٢٩.

^٢ جواهر النظام، ج ٣، باب الجهاد، ص ٢٥٤.

^٣ سلطة الثقافة الغالبة، إبراهيم السكران، ط ١، مركز تفكير للبحوث والدراسات، ص ٣٣-٣٤.



والشموخ، وقيمة المسلم،^١ إضافة إلى تربية العقول تربية إسلامية؛ بحيث يتأبى من نشأ في مثل هذه الثقافة المعتزة الشائخة أن يخنع وينصاع لمستبد ثقافي يسعى لأن يطبع المسلمين بالطابع الغربي من خلال سياسة التغريب^٢ والغزو الفكري، بعد أن تبدى له أن السلاح إنما هو وسيلة للسيطرة على الأجساد، لا على العقول والقلوب، فعمد - كما أشرنا - إلى تشويه عقل وقلب المسلم، وتجريده من تلك الاستقلالية التي ميّزه الإسلام بها، كما جرّده من دينه وعقائده، وأغري بالمادة والجاه والمنصب، فتلوّث العقول، وطراً عليها الوهن والضعف، وتبصرت بالدنيا بعيداً عن نور الوحي، ومالت إلى الطريقة الغربية، واستبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير، وكان ذلك لسببين بارزين: اتباع الناس لأهوائهم واهتمامهم بالعلوم الدنيوية فقط، وانبهارهم بالثقافة الغالبة.

أما عن حكام المسلمين في أعصارها الكثيفة! فحدث ولا حرج، وقد حمّلهم الإمام المسؤولية الكبرى من دخول النصارى بلاد الإسلام وتمكنهم فيها، حيث قال: ”وما علم أنّ السبب الأعظم انحدارهم الملوك، وضلالهم عن السبيل، واتباعهم الشهوات، وتعطيلهم الحدود، وتضييعهم الأحكام، وتقديعهم السياسة النصرانية على السياسة الشرعية، واختيارهم الهوى على الحق، والظلم على العدل، والدنيا على الآخرة“.

^١ المصدر السابق، ص ٣٤.

^٢ يقول أنور الجندي: إن مفهوم مصطلح التغريب في عشرات من تعاريفه إنما يعني: خلق عقلية جديدة تعتمد على تصورات الفكر الغربي ومقاييسه، ثم تحاكم الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي من خلالها بهدف سيادة الحضارة الغربية وتسييدها على حضارات الأمم، ولاسيما الحضارة الإسلامية. انظر: شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، ص ١٣.

ويقول محمد محمد حسين: ويقصد به طبع العرب والمسلمين والشرقيين عامة بطابع الحضارة الغربية والثقافة الغربية، مما يساعد على إيجاد روابط من الود والتفاهم بين الحمار وراكبه، وهى روابط تفيد الراكب دائماً ولا تفيد الحمار! انظر: حصوننا مهددة من داخلها، محمد محمد حسين، ص ١٠١.



وإن الحديث عن هؤلاء ليثير في داخلي كرها وبغضا لا حد له، فمن أين أبدأ معك - أيها القارئ - حديثي عن رجال فرطوا في أعظم وأعز ما نملك! وإن من الحق أن نقول ونشهد أن الأمة حين تركت أمورها بيد سفلتها ودوابها، إنما وضعت شرفها وعرضها الغالي في كفّ أشد الناس طاقة على إذلالها، ففصلوها عن عقيدتها وتاريخها ولغتها، وحلّوا أخلاقها، وأذابوا معاييرها، وتنكّروا لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وتواطأوا مع العدو الغاشم وأعلوا قدره وقربوه إليهم زلفى؛ زعما أنهم يريدون بذلك نهضة الأمة واستجلاب مصالحها! فكيف يرجى بعد ذلك لأمة تصدرها عبيد الشهوات، وأصحاب العزم الفاتر والخطئ الضئيل من علوم الإسلام ورسائله العظمى، أن تستلم دورها وتؤدي رسالتها وتقود العالم بأسره بكلمة الله، وهي بيد من لا يؤمن على قطيع غنم، فكيف يؤمن على دين الله وأرض الله ودولة المسلمين!

وقد أحسن الإمام - رحمه الله - في تبين مبدأ الاستقلالية في مظاهر الحياة الاجتماعية المختلفة الذي ربه النبي ﷺ هذه الأمة عليه، ليكون هو القاعدة الأساسية الذي يحفظ للأمة الإسلامية هويتها وكيونتها، ولذلك فقد أصل النبي ﷺ القواعد والآداب والأصول اللازمة لتبقى الأمة هي المسككة بزمام القيادة والريادة والمبادرة، ويكون هذا هو مقامها الأصيل الذي إن تركته فقدت توازنها وأصبحت متذبذبة لا يعرف لها قرار، فتكون أسيرة الأحداث والظروف، تعيش تحت وطأة الخصوم دائما، إذ هي في موضع رد الفعل لا الفعل نفسه.

وقد أجاد شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال في التعبير عن هذا المعنى الذي سطره في قوله: إن المسلم لم يُخلَق ليندفع مع التيار، ويُسائر الركب البشري حيث اتجه وسار، بل خُلِق ليُوجّه العالم والمجتمع والمدنية، ويفرض على البشرية اتجاهه، ويُعلي عليها إرادته، لأنّه صاحب الرسالة وصاحب العلم اليقين. ولأنّه المسؤول عن هذا العالم وسيره واتجاهه. فليس مقامه مقام التقليد والاتباع، إنّ مقامه مقام الإمامة والقيادة، ومقام الإرشاد والتوجيه، ومقام الأمر الناهي. وإذا تنكّر له الزمان، وعصاه المجتمع، وانحرف عن الجادة، لم يكن له أن يستسلم ويخضع ويضع أوزاره ويُسلم الدّهر، بل عليه أن يثور



عليه ويُنازله، ويظلّ في صراعٍ معه وعِراك، حتى يَقضي الله في أمره. إنّ الخُضوع والاستِكانة للأحوال القاسِرة والأوضاع القاهرة، والاعتذار بالقضاء والقدر من شأن الضّعفاء والأقزام، أما المؤمن القويّ فهو بنفسه قضاء الله الغالب وقَدْرُه الذي لا يُرَدّ.^١ وإن في موقف ربعي بن عامر أمام قائد جيوش الإمبراطورية الساسانية تتجلى روح الإسلام الحقّة في رجل قد أدرك طبيعة هذا الدين العظيم وغايته الكبرى، فحفظ له توازنه، وصلب عوده، مستعليا - بروح مؤمنة - على بهرجات الحياة التي افترشها رستم ليسرق بها - كما كان يظن - لَبّه، ويسيل لعبه، لكنها العظمة التي تُفخت في روح المسلم الحق، والاستعلاء الحقيقي على منطق الجاهلية الذي حُصّ به، والنفخة الربانية التي كُرمّت بها تلك القلوب التي صنعها ذاك الإيمان العظيم لتكون خليفة الله في أرضه، كل ذلك ترجمه ربعي في كلمات خالدة أصبحت بعد ذلك شعار المسلم الحق. وحين رفع المسلمون هذا الشعار في نفوسهم، ونطقت به قلوبهم كانوا كالماء الطهور الذي غسل الإنسانية من رجس الجاهلية، فأخرجوها من مستوى البهيمية إلى مستوى الإنسان السوي، ومن حالة الخواء الروحي والقلق النفسي إلى حالة الطمأنينة والارتقاء الروحي، ومن مستوى عبادة الشهوة والآلة والمادة إلى مستوى التسامي والطلاقة والانعقاد من ربة العبودية وأغلال الجاهلية.

هذا، وقد يقول قائل: إنّ الإمام قد نحا منحى الشدة والغلظة في رسالته ونصحه. وأقول: إنّ هذا الرأي إنما هو من هَشاشة النفس التي تتحسس من أيّ خطابٍ دينيٍّ يحمل في طيّاته وعظماً وإرشاداً وتبصيراً، مازجاً في أسلوبه بين التّغيب والتّحييب، وكذا التّقريع والتّجر والتّرهيب. والنّاظر في رسالة الإمام - متجرّداً من هذه الحساسية المفرطة - يجد أن أساس خطاب الرسالة هو اللين، إلا أن الخطاب قد يشتدّ في بعض المواضع المعدودة، وهذه الشدّة لها أسبابها ومسوّغاتها، أسرد لكم بعضها منها بيسر في نقطتين للاختصار:

^١ ماذا خسر العالم باخطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ص ١٥.



أولاً: إن معرفة الخلفيّة التاريخيّة لهذه الرسالة قد يُزيل شيئاً من الإشكال، وقد أوردتها الإمام بنفسه في بداية كتابه هذا بشيء من الاختصار المغني، ثم أوردت فصول الكتاب الستة مخزوناً كافياً من تفاصيل الأحداث، وخطط أعداء الإسلام ودسائسهم، مُنبهاً - رحمه الله - إلى ما تنطوي عليه صدورهم من نفس خبيثة دنيئة، وأحيلكم في هذا المقام إلى كتاب (الحملات التنصيرية إلى عمان) للدكتور سليمان الحسيني لمعرفة تفاصيل أكثر، وللاطلاع على أقوالهم وتصريحاتهم التي تكشف شيئاً من خباياهم وطرفاً من مؤامراتهم على أمة الإسلام، وما أبدوا ذلك إلا بعد أن رؤّضوا المستعمر على ما أرادوا من فكر، وطَبَعُوا هويّتهم الغربيّة على سلوكه وأقواله ومظهره، حتى وضعوا السّرج على ظهره، واطمأنّوا إلى انقياده وانصياعه وركونه إليهم.

والنّاظر في نُصوص الرّسالة يَجِدُ أنّ الإمام قد أرسل إليهم ناصحاً لهم قبل أن يَعمد إلى كتابة هذه الرّسالة، ولكن مع ذلك تَمَادى القوم في مخالفة الإمام وتجرّؤوا عليه بالقول، وهو أعرفهم بخطط العدو ودسائسه، وأعلم منهم بما يصلح لهم وما لا يصلح! وبعد أن رأى أن إشاراته السابقة لم تثمر في قلوبهم صلاحاً، وما قوّمت اعوجاجاً، رأى أن هذا الأسلوب قد يكون أثمر وأنجع لهذه القلوب التي وصلت من القساوة مبلغاً.

وأن يأتي اليوم شخص لينظر على الإمام ويختار ما ينفع للناس وما لا ينفع - في زمانه - فهو مُحض سخافة، أمّا الإمام - والحمد لله - فهو أعرف بأحوال الناس وطبائعهم وفكرهم ونمطه وموارده، فلم يكن - رحمه الله - مُتَقَوِّعاً على نفسه، بل كان يرى ما يدور حوله، مراقباً للتركيبة الثقافيّة والفكريّة للمجتمع المسلم وما يمر به من تغيرات وتحولات، ولذلك لم تكن تصدر فتاواه إلا عن فهمٍ لحُكم الله ورسوله ﷺ، وفهمٍ للواقع وأحوال النَّاس، والذي يظهر أنهم كانوا بحاجة إلى هذا النوع من الخطاب، لما وصلت إليه قلوبهم من القساوة، وما غشاها من حجب الشهوات، فهم بحاجةٍ إلى كلمةٍ مُدَوِّية، تخترق هذه الحُجُب ” لتدخل إلى سُوداء قلوبهم، فتستقرّ معانيها فيها لتحوّلهم إلى أفراد ذوي مبدأ ورسالة“^١.

^١ شروط النهضة، مالك بن نبي، دار الفكر، ط ١٨، ص ٢٤.



ثانياً: إنّ النظر في كلام المعترض المجادل وما حمل أسلوبه في الجِدال من جُرأةٍ وهُكْمٍ على العلماء يكفي للرد على قول القائل، ويظهر ذلك في قوله: ”وأَيُّ فائِدَةٍ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وقَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنْ ذِكْرٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٦٩]، أم هذا خاصٌّ بِهِ ﷺ دون غَيْرِهِ؟“^١، وقوله: ”وإنْ كَانَتْ شَرِيعَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ ليس فيها تَوْسَعٌ لهذا الكوت، فالأولى لأهل زنجبار الخُروج من زنجبار، ولا فائِدَةٍ في قَوْلِهِ ﷺ: «جِئْتُ مُبْسِراً لا مُعْسِراً»“^٢.

وأما قوله: ”فَلِمَ تُحَرِّمونَ المباحَ عَلَيْنَا مِن غَيْرِ إِيضاح؟“^٣، ففيه تجرؤٌ كبير على أهل العلم الذي جعل الله المردَّ إليهم فيما أشكل، والظاهر من حديثه هذا وصفه للعلماء بالجهل والإفتاء دون علم بحقيقة المسألة ونصوصها من القرآن والسنة، فتراه في مواضع عدة يسرد أدلته الباطلة مثل: ”ولقد صرَّح الأثرُ عَنْهُ ﷺ أَهْدَيْتَ إِلَيْهِ كُرْزِيَّةً مِنَ الرُّومِ ضَيِّقَةُ الأَكْمَامِ“^٤. ومثل: ”ثم اختار أشخاصاً من رجاله ليتعلَّموا تلك اللُّغة، فلمَّا ضَبَطُوهَا اكْتَفَى بِهِمْ، أَمَا في هذا الأمر ما يدلُّ على الجوازِ إنْ لم نُقَلِّ بِوَجوبِ تَعْلِيمِ هذه اللُّغة، فحينئذٍ على ماذا التَّزاع والتَّشديد في غير مقام؟“^٥. وقد ناقش الإمام استدلالاته هذه في رسالته وبين بطلانها.

وقوله: ”وما ذا إلا لامتناع الفضلاء من تولية الحكم عند هذه الدولة، حتى انقضاء الأمر إليهم، وأحاجوا النَّاسَ إلى التَّدَاخُلِ؛ زَعَمًا مِنْهُمْ أَنَّهُ غير جائز، فهذا الآن الواقع عَلَيْنَا بِسَبَبِ التَّخَاذُلِ“^٦. فيه تهرَّب من الاعتراف بالخطأ، وجهل بلبّ المشكلة، وإلقاء بالتبعية واللوم على أهل الفضل والدين!

^١ انظر في هذا الكتاب، ص ٣١.

^٢ انظر في هذا الكتاب، ص ٤٩.

^٣ انظر في هذا الكتاب، ص ٧٤.

^٤ انظر في هذا الكتاب، ص ٤٨.

^٥ انظر في هذا الكتاب، ص ٦٥-٦٦.

^٦ انظر في هذا الكتاب، ص ٧٨.



وهذه قضية في غاية الأهمية والخطورة كذلك؛ لأنها تَرَجِّع بنا إلى مسألة عرفها العمانيون لسنوات طويلة، وهي مكانة أهل العلم المعروفين بأهل الحل والعقد بين أفراد الشعب المسلم، إذ كانت لهم سُلطة تصل إلى تعيين إمامٍ وعزله إنْ رأوا منه حيدة عن الأمانة التي بايعوه عليها، وبالإضافة إلى كونهم رجال سياسة، فقد كانوا كذلك فقهاء وقُضاة وأصحاب فتيا، ذوي دراية بالواقع وحركته ومتطلباته.

ولهذا فإن هذا التّمادي على نصيح الإمام السالمي، والاحتجاج ضده وهو المعروف بأعلم أهل زمانه، وإليه مَرَجِع الأمر في الحل والعقد دليل على حدوث تغيُّر ما في المجتمع المسلم أدّى به إلى هذا التّجرؤ على العلماء وفتاواهم، ونجاحه في هزّ صورة أهل العلم وما كانوا يتمتعون به من سُلطة في نفوس المسلمين، فتملّكتهم سُلطة أخرى خارجيّة غير إسلاميّة.

وبناء على ما ذكرناه، فلا لوم على الإمام السالمي - رحمه الله - إن اشتدّ في خطابه معهم في بعض المواضع، إذ كانوا يستحقون ذلك بعد ما صدر منهم من شنيع الفعل، وسوء الأدب.

وفي الختام هذا ما تيسر كتابته والإشارة إليه بفضل الله، أما هذا العمل الذي بين أيديكم فلا أقول فيه إلا ما قاله أحد المحققين - وأنا أبعد ما يكون عن التحقيق وأدواته وطرقه - : ” لا شك أن المنية أن يخرج النص بصورة سليمة، بعيدا عن الخطأ والسهو؛ ولذا فإني أزعّم أنني بذلت في ضبطه جهد المستطيع، ولا أقول إني بلغت ما يصبو إليه صنعة التحقيق من التحقيق، أو ملكت ناصية الضبط والتدقيق، فأنتي للضالّ أن يدرك شأو الضليع، ولكن حسبي أن بذلت فيه وسعي؛ إذ قضيت زمنا في مسامرتة، وصرفت وقتا في منادمتة، حتى أهداني كنوزه، وفتح لي بعض مكنونه فكانت رحلة ممتعة “^١. وأقدم جزيل شكري لكل من راجع هذا العمل وأعاني على إنجازهِ وأبدى لي ملاحظاته القيّمة البناءة، وفقهم الله وجزاهم خيرا ونفع بهم الأمة.

^١ أحمد بن محمد بن راشد الغاربي، في مقدمة تحقيقه لكتاب (رسائل الشيخ أبي نيهان إلى رؤساء زمانه)، ص ١٠.



والحمد لله رب العالمين على فضله وتوفيقه وتيسيره، وصلواته وسلامه على نبيه محمد وآله وأصحابه.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

شمسة الرواحية

@qathaif_alhaq @ummat.mohmd

الخميس / ٤ ذو الحجة ١٤٤٤ هـ

ملاحظة مهمة: هذا العمل مجرد جهد شخصي، لم يخضع للتدقيق من أي لجنة علمية، لذا يرجى من أراد دراسة هذه الرسالة أن يعتمد النسخة المحققة والمدققة والمضبوطة من قبل لجان علمية مختصة، شكراً.



النسخ المعتمدة في ضبط نص الكتاب:

- **النسخة الأولى:** نسخة مكتبة الإمام نور الدين السالمي (الثانية)، برقم ٢٠٠: نسخت بتاريخ ٣ صفر ١٣٢٨ هـ، ورمزت لها في الحاشية بالرمز (أ).
- **النسخة الثانية:** نسخة مكتبة الإمام نور الدين السالمي، برقم ٣٢: نسخت بتاريخ ١٦ ربيع الآخر ١٣٢٨ هـ، ورمزت لها في الحاشية بالرمز (ب).
- **النسخة الثالثة:** نسخة مكتبة الإمام نور الدين السالمي (الأولى)، برقم ١٩: نسخت يوم الجمعة في آخر جمادى الآخر ١٣٤١ هـ، ورمزت لها في الحاشية بالرمز (ج).
- **النسخة الرابعة:** نسخة وزارة التراث القومي، برقم ٢٦٣٦: نسخت بتاريخ ٥ جمادى الثاني ١٣٤٢ هـ، ورمزت لها في الحاشية بالرمز (د).
- **النسخة الخامسة:** نسخة وزارة التراث القومي، برقم ٣٤٢٩: نسخت بتاريخ ٤ شوال ١٣٤٧ هـ، ورمزت لها في الحاشية بالرمز (هـ).
- **النسخة السادسة:** نسخة مكتبة الإمام نور الدين السالمي، برقم ٤٠: نسخت بتاريخ ١٩ صفر ١٣٥٤ هـ، ورمزت لها في الحاشية بالرمز (و).
- **النسخة السابعة:** نسخة مكتبة الشيخ سالم بن حمد الحارثي: نسخت بتاريخ ١٣ رجب ١٣٧٣ هـ، ورمزت لها في الحاشية بالرمز (ز).

وإليك نماذج مصورة لمخطوطات الكتاب:

النسخة الأولى (١)

اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم **بسم الله الرحمن الرحيم**
يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الدين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم
والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان يتوبوا املا عظيم
فانكم في المنازعة فوتين والله اركسهم بما كسبوا اثر يدرون ان تهدوا من اضل الله
وعنى يضل الله فلن يجد له سبيلا هودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء
ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا ايثمه يستخفون
من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون لا ما لاموا ولا يرضى من القول وكان
الله بما يعملون محيطا هانتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم
يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيل ه رينا لا نزع قلوبنا بعد اذ هد يستنا وهب
لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب الحمد لله الذي ههنا لهذا وما كنا لنهتدي لولا
ان هدانا الله ذكرنا الله محمد خير وصلى عليه وحياته باسلام وصلى الله على اخوانه
من الانبياء واصحابه الاتقياء وتابعهم الى يوم القيامة **اما بعد** فهذا جواب
لكتاب وصلي من زنجيل مجادل فيه عن اخوان الكفار عبدة الدنهم والديناره
وذلك حين نزع الله حكومة زنجيل من ايدي المسلمين بما كسبت ايديهم وسلط عليهم
عدوهم بما تركوا من اوامرهم فاحتلها النصارى بالمكر والحيل ونصبوا لهم انواع
الحيل السالية للدين رغبة في سلب دينهم كما سلبوا دينهم فيكونون سواء قال اليهم من
لا خلاف له من جهال المسلمين ومن نزع عن سنن الدين فترينوا بلا بسهم وعوجوا
السنن بلغاتهم وخالفوا في مدارسهم وعادوهم في محاكمهم التي هي بيت الظلم مستقر
الوارث صدرت مني اليهم اشارة بالنجعة عن هذا الاعوجاج ومطالبة الرجوع الى
اقوم المهاج قصدي من هذا الهديان الذي يزعون انه من الاحتجاج فلم اربط من
جوابهم خوفا الوعيد المذكور في قوله صلى الله عليه وسلم اذا ظهرت البدع في امتي فعلى
العالم ان يظهر علمه فان لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه



النسخة الأولى (٢، ٣)

٣٨
 * تشفع لي يا خيرين وطى الحصى * فيغفر لي ربي وارحم بالفسح
 * الى معشر خالفت في ابد دينهم * فلا رايهم رائي ولا شرهم شرعي
 * وكنت امرأ بالهوى والخرم لعا * شابا يحسنى اذن الجسم بالنوح
 * فبدلتني بالخرم خفا وشية * وبالعهر لصا ناخصن لي فرجي
 * فاصح همي في الجهاد ونيتي * فله ما صومي ودينه ما حجتني
 قال ما زلت فلما كان في العام القابل وقت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا مبارك
 ابن المبارك بن الطيبين قد هدى الله قوما من اهل عمان ومن عليهم يدك وقد
 اخضعت عمان خضبا هنيئا وكثرت لارياح والصيد بها فقال عليهم ديني دين
 الاسلام سيزيد الله اهل عمان خضبا وصيدا فطوفت من آمن بي ورأيتي وطوفت من آمن
 بي ولم يرني وطوفت ثم طوفت من آمن بي ولم يرني ولم يرني رائي واذا الله سيزيد اهل عمان
 اسلاما **ما حدث مازن** المكنون المصون وما زال اثر المجابر تظاهر على عمان واهلها فلم
 يخرج الله امرهم من ايديهم على اختلاف الدول وقدرا العزف فظهرت فيها قوة الاسلام
 ونصبت الائمة العادلون الذين هم من امثال ابي بكر وعمر فضلا وسياسة لولا ما فضل الله
 بها العرب من رحمة بنيه عليه الصلاة والسلام وقد تطلعت النصارى اكثر من هذه التطلعات
 قبل ظهور الامام الموقر ناصر بن محمد رضي الله عنه فلكوا من سواصلهم مكد وقرينات
 وصور وجانب آخر من حجار وطفار وحي الصير وحي بلد كانت حجة في عمان وخربت
 الآن وحي اقصى عمان خرجا نبل المغني الشمالي ومن هاهنا كانوا يقولون لمن ملك عمان
 باسرها ملكها من صور الى الصير فاراد الله امرنا ولكم النصارى قبل ان يسلموا
 على اهل عمان بظهور ذلك الامام العادل ثم تناهت خلفاءه وراشده وبنو ذلك المصون
 المجهود في مطاردة النصارى وانما هم من الاماكن القريبة وطلوبهم من النواحي
 البعيدة وصدوا لهم كل مرصد وصيقوا عليهم المسالك فانظر ذكركم وانتشع ادمهم
 وبلغت قوة الاسلام في تلك الايام ان اجتمعت في الجيش الذي خطبه الامام **سعيد** سلطان
 ارض

205

٤٣
 مثل هذا الامر الشنيع والفعل الفضيع واذا قد وقع ذلك الان في كثير من البلدان
 وجب علينا الانكار وتميز سبيل الجنة من سبيل النار اكل كلامه ببعض جند
 وتصرف وبلغه بيم ما تيسر كتابته في هذه الصفحات واسأل الله ان يعم نفعه
 وان يكون لي نفع في يوم النشور والاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
 والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وكان الفراغ من تصويره عشية
 السبت المستيقين من شهر ربيع الحرام الحسنة وكان تمام نسخة في يوم ٣ من شهر الله
 المبارك صفر الحسنة

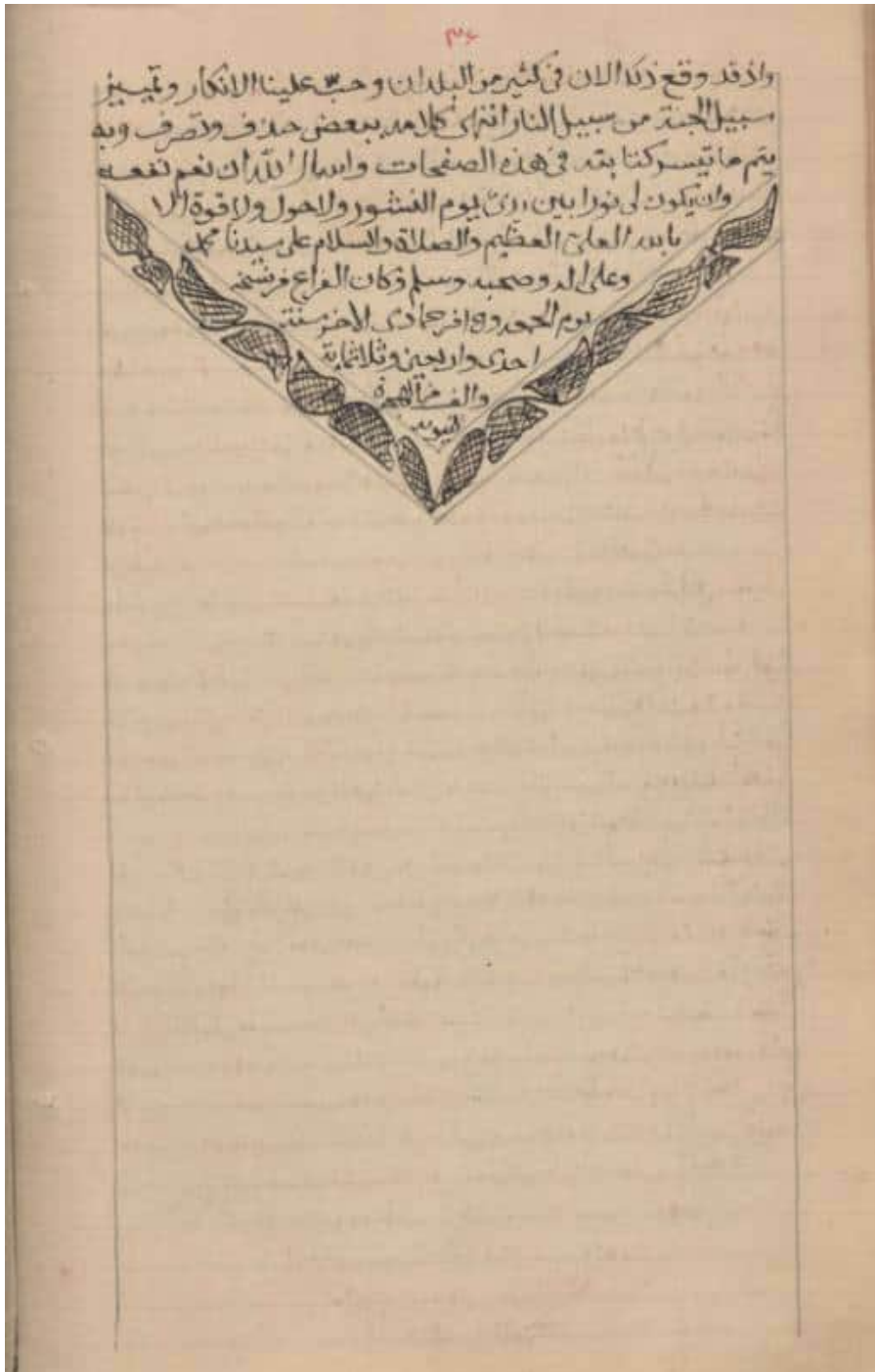


النسخة الثانية (٢)

قد وقع ذلك الان في كثير من البلدان وجعلنا الانكار وبتين
سبيل حجة في سبيل التاراه كلامه ببعض حذف ونقص وبه
يتم ما يتيسر كتابته في هذه الصفحات والسؤال ان يعرّف نفسه
وان يكون له نور يبين بدي يوم النشور ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي والحمد
وكان الفراغ من نسخ يوم السادس عشر من ربيع الاخر
في سنة ١٢٢٠ من الهجرة النبوية الاسلامية على يد
الفنان صلاة وحجة ختمه بذلك المجهود
الفصل الاول في التقدمة عن مدارس الفصاري
الفصل الثاني في لباس الفصاري
الفصل الثالث في تعلم اللغة الأجنبية
الفصل الرابع في خلق الله
الفصل الخامس في السبيل الذي دخل الفصاري بلاد الاسلام
الفصل السادس في بحث على العناصر والقوارير
الخاتمة فيها تنبيهان
القبية الاول في التحذير من مطبوعات الفصاري
التنبيه الثاني في الطرق لتتذيق الاطفال
مكت وأحمدته حق حمد والصلاة والسلام على رسولهم وعبد
سيدنا محمد الشريف المرسلين وجيبت ربي العالمين ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

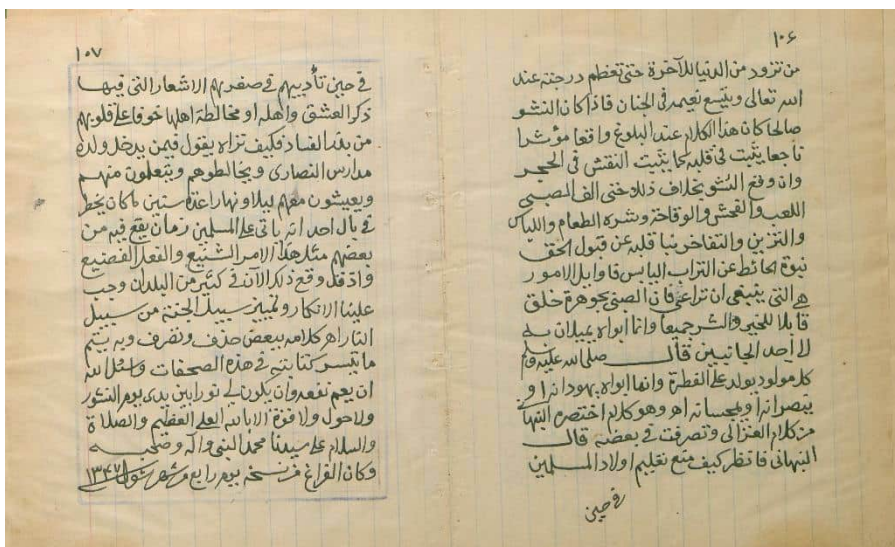
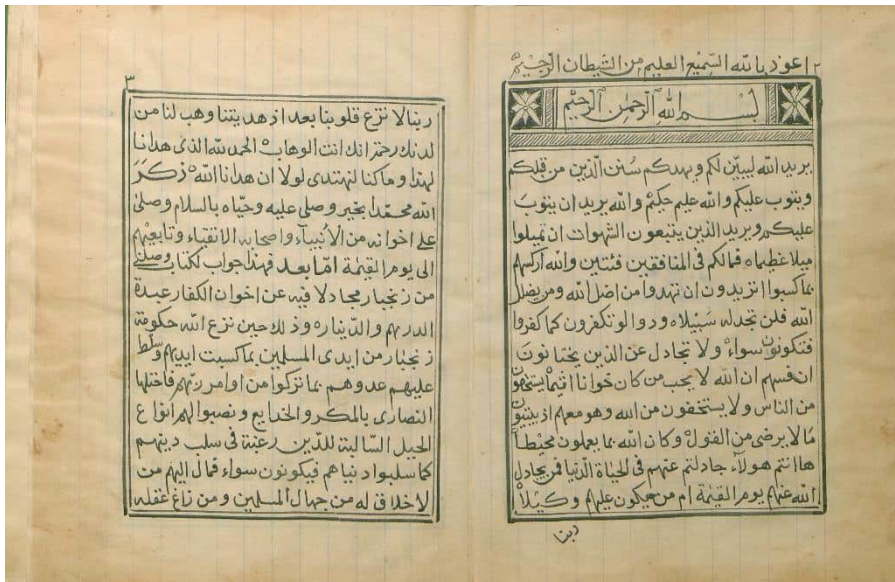


النسخة الثالثة (٢)

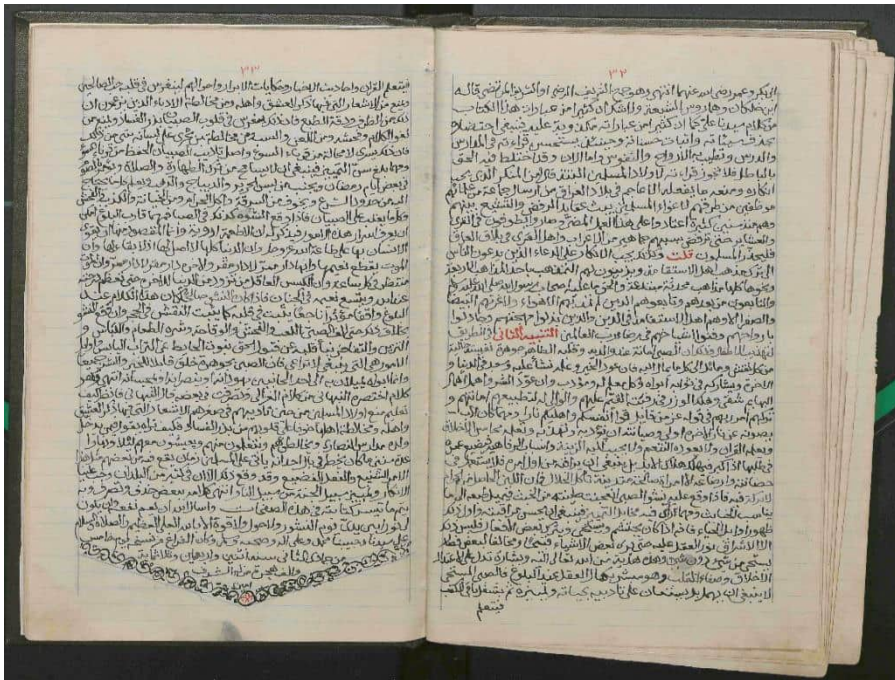
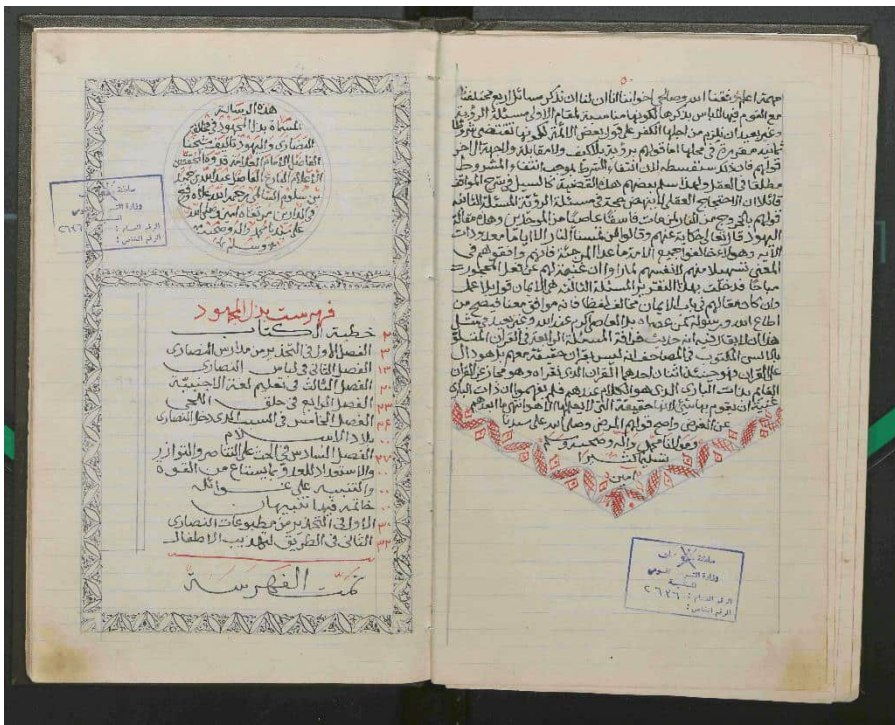




النسخة الرابعة (١، ٢)



النسخة الخامسة (١ ، ٢)

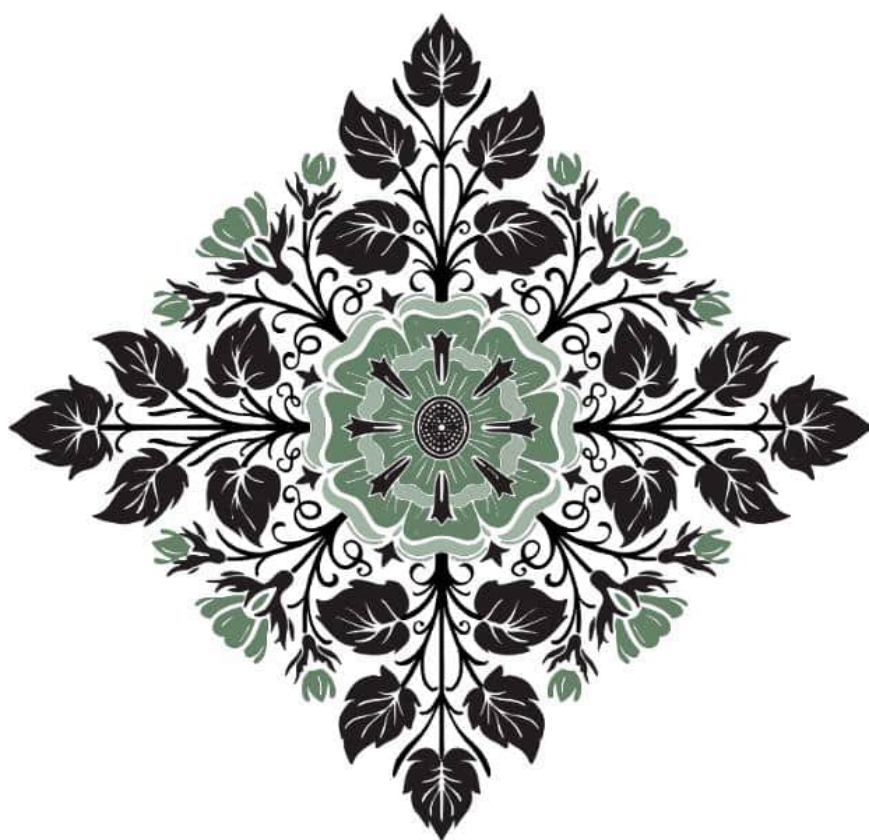




النسخة السادسة (٢٠١)

هذه
الرسالة السامية بطل اليهودي في الخلقه النصارى
واليهود والبلغ الامام العلامة قدوة
المحققين الاعلام البارع الفاضل
شيخنا عبد الله بن حميد بن سلم
سليم السلمي ادام الله
ظريته تك علاه ورفع لي الدين
في الدارين
مرتقا هاتين امين العالمين
١٤٢٤ هـ

منهم ويهشون معهم ليلاً ونهاراً أعدت سنين ما يخطر في بال احد ان ياتي عالم
زمان يقع فيه وبعضهم مثل هذه الامور الشنيعة والفعل الفضيع وادقد وقع ذلك
الآن في كثير من البلدان وجب علينا الانكار وتبيين سبيل الحق في سبيل النار التي طالت
بعض حدف ونحرف وبدنهم ما تيسر لنا بنه في هذه الصفيحات وتبلي الله ان
يعم نفعه وان يلون لي نوراني يدي يوم النشور والاحول والافق الاباسد العظم
والصلاه والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وكن الفراع وشويعه عتيقة السنين
لست ان يغني وشهر الله المحرم ١٤٢٤ هـ وان تمام هذه النسخة يوم ١٩ من رجب الذي
هو شهر ١٤٢٤ هـ اعلم العبد الفقير الى الله الداعي عفي به وعفان ذنبه عبد الله بن
ابن حميد بن حميد بن سلم
في شهر المحرم ١٤٢٤ هـ



بَذْلُ الْجَهْدِ فِي مُخَالَفَةِ النَّصَارَةِ وَالْيَهُودِ

تَأَلَّفَ الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ الْمُحَقِّقُ
نُورُ الدِّينِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُمَيْدٍ السَّالِبِيُّ
عَمِيدُ الدِّينِ وَالْجِدَّةِ وَحَامِي حَقِّ الْإِسْلَامِ
ت: ١٣٣٢ هـ



[المقدمة]

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا
عَظِيمًا ﴿[النساء: ٢٦-٢٧]﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَزْكَسُهُمْ بِمَا كَسَبُوا ۗ
أَتَرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۚ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا﴾ ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ
كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ ﴿[النساء: ٨٨-٨٩]﴾ ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ۗ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَآنًا أَثِيمًا﴾ ﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ
وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ ﴿هَا أَنْتُمْ
هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ
عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا﴾ ﴿[النساء: ١٠٧-١٠٩]﴾.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾
[آل عمران: ٨]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾
[الأعراف: ٤٣]. ذَكَرَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِخَيْرٍ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَحَيَّاهُ بِالسَّلَامِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى إِخْوَانِهِ
مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَصْحَابِهِ الْأَتْقِيَاءِ، وَتَابِعِيهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ، أَمَّا بَعْدُ:

فهذا جوابٌ لِكِتَابٍ وَصَلَنِي مِنْ زَنْجِبَارٍ، مُجَادِلًا فِيهِ عَنْ إِخْوَانِ الْكُفَّارِ، عَبْدَةِ الدَّرْهِمِ
وَالدِّينَارِ، وَذَلِكَ حِينَ نَزَعَ اللَّهُ حُكُومَةَ زَنْجِبَارٍ مِنْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ،
وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ بِمَا تَرَكَوا مِنْ أَوَامِرِ رَبِّهِمْ، فَاحْتَلَّهَا النَّصَارَى بِالْمَكْرِ وَالْخَدَائِعِ،
وَنَصَبُوا لَهُمْ أَنْوَاعَ الْحِيلِ السَّالِبَةِ لِلدِّينِ؛ رَغْبَةً فِي سَلْبِ دِينِهِمْ، كَمَا سَلَبُوا دُنْيَاهُمْ فَيَكُونُونَ

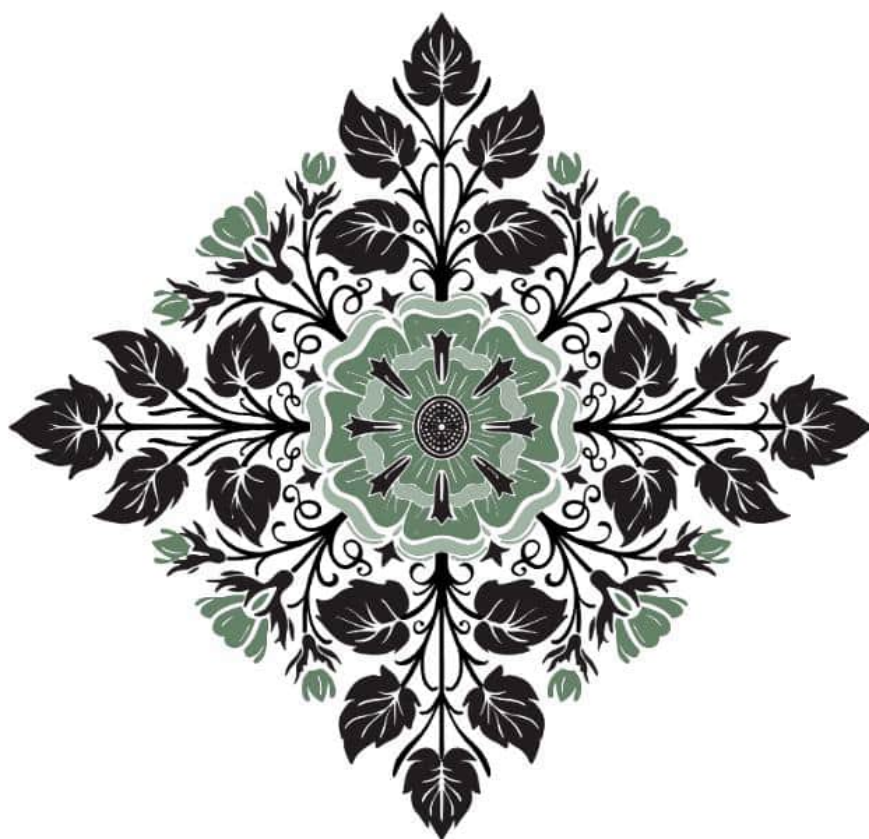


سواء. فَمَالَ إِلَيْهِمْ مَنْ لَا خَلْقَ لَهُ مِنْ جُهَاِلِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ زَاغَ عَقْلُهُ عَنْ سَنَنِ الدِّينِ، فَتَرَبَّيْنَا بِمَلَابِسِهِمْ، وَعَوَّجُوا أَلْسِنَتَهُمْ بَلْغَاتِهِمْ،^١ وَخَالَطُوهُمْ فِي مَدَارِسِهِمْ، وَعَاوَنُوهُمْ فِي مُحَاكِمِهِمُ الَّتِي هِيَ بَيْتُ الظُّلْمِ وَمُسْتَقَرُّ الْبُورِ. فَصَدَرَتْ مِنِّي إِلَيْهِمْ إِشَارَةٌ بِالنَّصِيحَةِ عَنْ هَذَا الْاِعْوِجَاجِ، وَمُطَالَبَةٌ الرَّجُوعِ إِلَى أَقْوَمِ الْمُنْهَاجِ، فَصَدَرَ مِنْهُمْ هَذَا الْهَدْيَانِ الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ مِنَ الْاِحْتِجَاجِ، فَلَمْ أَرِ بُدًّا مِنْ جَوَابِهِمْ خَوْفَ الْوَعِيدِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدْعُ فِي أُمَّتِي، فَعَلَى الْعَالِمِ أَنْ يُظْهِرَ عِلْمَهُ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ»^٢، رَوَاهُ جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ مُرْسَلًا. وَفِي (الْجَامِعِ الصَّغِيرِ) مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَسَاكِرٍ عَنْ مُعَاذٍ: «إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدْعُ، وَلَعَنَّ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ فَلْيَنْشُرْهُ، فَإِنَّ كَاتِمَ الْعِلْمِ يَوْمئِذٍ كَكَاتِمِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ^٣، وَوَفَاءٌ بِالْعَهْدِ الْمَأْخُوذِ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، فَجَعَلْتُ ذَلِكَ فِي فُصُولٍ:

١ ” الْفَصْلُ الثَّالِثُ وَالْعَشْرُونَ: فِي أَنَّ الْمَغْلُوبَ مُوَلَّعٌ أَبَدًا بِالْاِقْتِدَاءِ بِالْغَالِبِ؛ فِي شِعَارِهِ وَزِيَّتِهِ، وَخُلُتِهِ، وَسَائِرِ أَحْوَالِهِ، وَعَوَائِدِهِ. وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ: أَنَّ النَّفْسَ أَبَدًا تَعْتَقِدُ الْكَمَالَ فِي مَنْ غَلَبَهَا وَانْقَادَتْ إِلَيْهِ.. “ انظر: مقدمة ابن خلدون، ص ١٤٢.

٢ كتاب الترتيب في الصحيح من حديث الرسول ﷺ، جمع وترتيب الإمام أبي يعقوب الوارجلاني، صححه وعلق عليه الشيخ نور الدين السالمي، مكتبة مسقط، ط ٤، ص ٤٣٩-٤٤٠.

٣ الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، السيوطي، دار الكتب العلمية، ط ٢، رقم ٧٥١، ص ٥٢.



الفصل الأول

في التحذير من مدارس النصارى

قال المُعْتَرِض: أمّا الدّاخِل في مدارس النّصارى مُعلِّماً كانَ أو مُتعلِّماً، فأوضَح لَكَ حالة المُعلِّم حَسَب المُشاهدة. فالمُعلِّم يُلقِي في أذهان المُتعلِّمين -صِغاراً كانوا أو كباراً- التّوحيدَ وشغلَه، والطّهارةَ وكَيْفِيَّاتِهَا، والصَّلوات ومَعانيها، والكِتابةَ العَرَبِيَّةَ، والإنشاءَ العَرَبِيَّ، والحِسابَ، وقراءةَ القرآنَ عَلى الوُجْهِ المُرتضى، فإنَّ كانَ هذا لا يَجُوز المُسير إلى تَلْقِينِه، ولا شَدُّ الرِّحالِ إليه، فأقيموا الأدلَّةَ والبراهينَ السَّاطِعةَ، وأجيبونا بِأسرَع حال، أم الأحسن^١ تَرَكْ أولادَ المُسلمين بأيدي النّصارى فَقَط، وأيُّ فائِدَةٍ في قَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وقَوْلِه: ﴿وَلَكِنْ ذَكِّرْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٦٩]، أم هذا خاصٌّ بِهِ ﷺ دونَ غَيْرِه؟

فالمدرسة المشار إليها واضعها إسلامي، والنصارى فيها عملة، وأحد العملة سب النبي ﷺ، فبلغ السيد علي بن حمود^٢، فحالا أرسل إلى الناظر - مدير المدرسة - فقرعه، فأجابته إن قامت البيّنة على السّاب ليعزّزّنه، فلم تقم عليه بيّنة، ومع ذلك فقد هُدد، فحينئذ هل الأوجب إصباغ^٣ الأولاد صبغة دينية، أم يُتركون وجههم إذا كان لا بدّ من تعليم هذه اللغة الأجنبية؟

هذا كلامه، وهو ينقض بعضه بعضاً، وجوابه: ^٤

^١ في النسخ الخطية عدا (ج) و(د) و(ز): "الحسن".

^٢ لعله السيد علي بن حمود البوسعيد، ثامن سلاطين زنجان.

^٣ في (ج) و(ز): "صبغ".

^٤ حتى نزول الالتباس الذي قد يقع هنا، فما بعد كلمة "جوابه" هو كلام الإمام السالمي - رحمه الله -.



إِنَّكَ قَدْ تَرَكْتَ الْأَهَمَّ الْأَعْظَمَ مِنْ مَقْصُودِ الْقَوْمِ، وَهُوَ مُحِطٌ نَظَرُهُمْ وَغَايَةُ أَمَلِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَعْلَمَ النَّصْرَانِيَّ يَحْتَلِي بِهَوْلَاءِ الصَّبِيَّانِ مِنْ أَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ فِي وَقْتٍ مَخْصُوصٍ وَسَاعَةٍ مَعْرُوفَةٍ، فَيُلْقِنُهُمْ مَا يَشَاءُ مِنَ الْكُفْرِيَّاتِ الَّتِي تَسْلَخُهُمْ مِنْ فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ رَأْسًا، وَمِنْ نَفَحَاتِ تِلْكَ الْمَكْفُرَاتِ مَا ذَكَرْتَهُ عَنْ ذَلِكَ النَّصْرَانِيِّ مِنْ سَبِّ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ - .

وَمَا ذَكَرْتَهُ مِنْ تَعْلِيمِ التَّوْحِيدِ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْخِصَالِ فَهُوَ ذَرِيعَةٌ إِلَى تَدْرِيجِكُمْ إِلَى الْمَهَاوِي، وَالْقَائِكُمْ فِي الْمَهَالِكِ، وَلَا بَدَّ لِلْفَحِّ مِنْ حَبِّ يَقَعُ عَلَيْهِ الطَّائِرُ، فَلَوْ جَاهَرُوكُمْ بِمُرَادِهِمْ وَكَشَفُوا لَكُمْ أَغْرَاضَهُمْ؛ لَقَفَّتْ^١ شُعُورُكُمْ، وَاقْشَعَرَّتْ جُلُودُكُمْ، وَاسْتَمَازَتْ قُلُوبُكُمْ، وَنَفَرْتُمْ عَنْهُمْ كُلَّ نَفَرَةٍ، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ أَدْرَى بِمَصَائِدِكُمْ، وَأَعْرِفَ بِمَكَايِدِكُمْ، فَهُمْ أَشَدُّ مِنَ الْأَفْعَى لَيْنًا وَعِدَاوَةً، وَأَرْوَعُ مِنَ الثَّعْلَبِ، وَأَخْدَعُ مِنَ السَّرَابِ، وَلَهُمْ فِي الْمَكْرِ أَبْوَابٌ يَعْبِجُ عَنْهَا الشَّيْطَانُ، فَهُمْ نَظِيرُ الشَّاعِرِ الْمَجَاهِرِ بِقَوْلِهِ:

وَكُنْتُ امْرَأً مِنْ جَنْدِ إِبْلِيسَ فَارْتَقَى بِي الْأَمْرُ حَتَّى صَارَ إِبْلِيسُ مِنْ جُنْدِي
فَلَوْ مَاتَ قَبْلِي كُنْتُ أَحْسَنَ بَعْدَهُ طَرَائِقَ فَسَقٍ لَيْسَ يُحْسِنُهَا بَعْدِي

وَكُونَ الْمَدْرَسَةَ مِنْ بِنَاءِ الْمُسْلِمِينَ لَا يَهْوُنُ الْأَمْرُ بَلْ يُعْظَمُهُ، فَإِنَّهُ خَفَّفَ عَنْهُمْ مُؤَنَّةَ الْبِنَاءِ، وَزَادَهُمْ اسْتِطَاعَةً^٢ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، حَيْثُ وَرَثُوا أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، عَكْسَ الْحَالِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَسْلَافُهُمْ مَعَ أَسْلَافِنَا، وَذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ.

^١ قَفَّتِ الشُّعُورُ: انتصب من الفزع.

^٢ فِي (ج) وَ(د): "استطاعة".



الله المستعان، ما مثّلنا عند هؤلاء النصارى إلا مثل بني إسرائيل عند عدوهم
بُخْتَنَصَّر. عافيتك اللهم وعفوك ونصرك وتأييدك، أغث حرمة الإسلام يا غياث
المستغيثين.^٢

ومن المعلوم أنّ العبرة في المدارس بأهلها المتولينّ لأمرها، القائمين بلوازمها من تدريس
وغيره، دون الباقي الذي أسسها؛ إذ البناء لا يؤثر في المطلوب، وإنما يؤثر من تصدّى
فيه لذلك. والجهل بما تُفِيدُهُ مدارس النصارى من كفرياتهم أولى وأسلم من العلم به
والاطلاع عليه، فإنّ الجاهل به سليم القلب^٣، صحيح الاعتقاد، كامل التوحيد كما
عليه الحال في عوام المسلمين، والعالم به والمطلع عليه قد يُفضي به الحال إلى الشرك
بعد الإسلام وهو لا يدري، وربما أورثه الشك في عقيدته، والطعن في سلفه، وربما
أورثه موالاة أعداء الله، ومعاداة أولياء الله، فيكون حكمه حكم من تولى، لقوله تعالى:
﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، ويحشر معهم يوم القيامة للحديث
الصحيح عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حَسَرَهُ اللَّهُ فِي زُمْرَتِهِمْ»، رواه الطبراني
والضياء عن أبي قرصافة.

وقد تنبّه علماء الملة الإسلامية على مكائيد النصارى ومطالبتهم من هذه المدارس،
فنبّهوا عليها الناس، وأزالوا عنهم الالتباس، وحثّروهم من الوقوع في شرورها، وألف في

^١ يذكر التاريخ أن نبوخذ نصر أو المشهور باسم "بختنصر" وهو أحد ملوك بابل، ساق أربعين ألفاً من بني إسرائيل
إلى بابل، وعاشوا هناك عبيداً وخدموا عقوداً من الزمن، فكانوا في ذل ووضع لا يحسدون عليه. انظر: فلسطين
التاريخ المصور، طارق السويدان، ص ٤٧.

^٢ من الأسئلة التي أجاب عنها الإمام - رحمه الله -: "هل يصح للداعي أن يقول في دعائه يا غياث المستغيثين
أم لا؟"، انظر: جوابات السالمي، ج ١، ص ١٣٥. وملخص جوابه: "وأقول لا بأس به لأنه قد جاء في
الكتاب العزيز قوله عز من قائل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] وجاء في بعض التفسير أنهم
قالوا يا رب انصرنا على عدوك، يا غياث المستغيثين أغثنا".

^٣ في (ج) و(د) و(ز): "العقل".

^٤ في (أ) و(ب) و(هـ) و(و): "على"، وفي بقية النسخ: "في". والذي أثبت في المتن هو الأقرب إلى أسلوب المؤلف
وطريقته لورودها في مؤلفاته، والله أعلم.



ذلك الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني^١ تأليفاً سَمَّاهُ (إرشاد الحيارى في تحذير المسلمين من مدارس النصارى)، قال في الفصل الثالث منه ما نصّه:

” وانظر أيُّها المسلم العاقل - رحمك الله، وأرشدك إلى ما فيه رضاه - إلى اجتِهَادِ الدُّولِ الإفِرنجِيَّةِ في فَتْحِ المدارس في بلادِ الإسلامِ، وإنفاقِهِم عليها النِّفقاتِ الكثيرةَ على مَرِّ الشُّهُورِ والأعوامِ، واعتِنائِهِم بِشُؤْنِهَا الاعتِناءَ التَّامَ، أتراهم يا أخي يَفْعَلُونَ كُلَّ ذَلِكَ شَقَّةً مِنْهُمْ على ابنِكَ المسلم الذي ليسَ هُوَ مِنْ مِلَّتِهِمْ ولا مِنْ دَوْلَتِهِمْ، وَحِرْصاً على نِجَاحِهِ؟ كلا، والله لم يَفْعَلُوا ذَلِكَ إلا لِمَقاصِدَ مُهِمَّةٍ، وفوائدَ لَهُمْ كثيرةً جَمَّةً، تُقَابِلُ نَفَقَاتِهِمْ وأَتْعابَهُمْ أَضْعافاً مُضَاعَفَةً، وهي كُلُّها عليك وعلى ابنِكَ وعلى دينِكَ وأهلِ مِلَّتِكَ دَوَاهٍ عَظْمَى، وَمَصَائِبُ كُبْرَى، يَعْلَمُ ذَلِكَ جَمِيعُ العُقَلَاءِ، ولا يَخْفَى إلا على الجَهْلَةِ الأَغْيَاءِ. فَمَنْ فَوَائِدِهِمْ أَهَمُّ يُخْرِجُونَ هَؤُلَاءِ الصَّبِيانَ الَّذِينَ يَتَعَلَّمُونَ في مَدَارِسِهِمْ مِنْ دِينِ الإسلامِ إِخْرَاجاً حَقِيقِيّاً يَفْلُوهُمْ وَإِنْ بَقُوا في الظَّاهِرِ مُسْلِمِينَ، وَيَسْتَجْلِبُونَ مَحَبَّتَهُمْ لَهُمْ مَحَبَّةً مُتَمَرِّجَةً بِلَحْمِهِمْ وَدَمِهِمْ يَنْشَوُونَ عَلَيْهَا، وَيَعِيشُونَ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ بَتَعْلُمِهِمْ لُغَاتِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ^٢ وَكُتُبِهِمْ وَأَحْوالَ مَشايرِهِمْ وَتَرَاجُمِهِمْ، يَروِيها لَهُمُ المَعلَمُونَ بِأَجْمَلِ الرِّوايَاتِ، وفي ضَمَنِ ذَلِكَ يَذْمُونَ لَهُمُ عَقَائِدَ الإسلامِ وَمَشايرَ المُسْلِمِينَ وأئمَّةَ الدِّينِ، حَتَّى رَما يَتَجَاوِزُونَ إلى سَيِّدِ المُرسلينَ وَحَبِيبِ رَبِّ العالَمِينَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ -.

وَتَتَكَرَّرُ هَذِهِ الأُمُورُ على سَمْعِ الصَّبِيِّ المُسْلِمِ في عِدَّةِ سِنِينَ، فلا يَخْرُجُ مِنَ المَدْرَسَةِ إلا وَقَدْ تَجَرَّدَ بِالْكُلِّيَّةِ مِنْ دِينِهِ وَحَمِيَّتِهِ الإِسلامِيَّةِ، وَصَارَتْ تِلْكَ الدَّوْلَةُ المَمْدَّةُ لِلْمَدْرَسَةِ الَّتِي تَعَلَّمَ فِيهَا، أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ دَوْلَتِهِ، وَجَنَسِيَّتِهَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ جَنَسِيَّتِهِ، مُعْتَقِداً فِيهَا وفي رِجالِها الكَمالَ، وَهُوَ لم يَتَعَلَّمْ شَيْئاً مِنْ دِينِ الإسلامِ، وَسِرَّةَ نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ -، وَمَنَاقِبِ أَصْحَابِهِ الهُدَاةِ المَهْدِيِّينَ، وَفَضَائِلِ أئمَّةِ دِينِهِ المَبِينِ،

^١ هو يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن محمد ناصر الدين النبهاني (١٢٦٥ - ١٣٥٠ هـ)، القاضي الفقيه، والشاعر الأديب، المكرر من مدائح رسول الله ﷺ تأليفاً ونقلًا وروايةً وإنشاءً وتدوينًا. ونسبته إلى بني نبهان من عرب البادية بفلسطين.

^٢ جمع عادة.



وأحوال خلفائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ السَّلَاطِينَ والأُمَرَاءِ العَادِلِينَ، بل رَوَى لَهُ عَنْهُمْ شَيَاطِينَ أولئك المعلمين عَكَسَ أوصافهم الجميلة، وَمَنَاقِبَهُمُ الجَلِيلَةَ، فَاعْتَقَدَ فِيهِمْ خِلَافَ الكَمَالِ الذي اعتَقَدَهُ - على خِلَافِ الحَقِيقَةِ - في أعداءِ دينِهِ ودَوْلَتِهِ، وهؤلاء التَّلَامِيذُ يَكْبُرُونَ ويعيشُونَ في الظَّاهِرِ مِن جُمْلَةِ المسلمين وفي الحَقِيقَةِ هُمُ أعداءُ اللَّهِ والدِّينِ، وقد أَشْرَبَتْ قُلُوبَهُمُ الرِّندَقَةُ والضَّلَالُ المَبِينِ، وترى الواحدَ مِنْهم لا يَجِدُ خُلُوءًا مَعَ مَنْ يُشَاكِلُهُ في ضَلَالِهِ وسُوءِ حالِهِ، إَلا وَيَتَذَكَّرُ مَعَهُ في الاعتِرَاضَاتِ على دينِ الإسلامِ ودَوْلَةِ الإسلامِ وعَوَائِدِ المسلمين، ويمدَحونَ تلكَ الدَّوْلَةَ صاحِبَةَ المدرسة التي كَمَلُوا فيها دُرُوسَ الضَّلَالِ، وتَجَرَّدُوا مِنَ الدِّينِ والكَمَالِ، ولا يَزَالُ يُخْرَجُ مِنْ هؤلاء الرِّندَاقَةِ في كُلِّ سَنَةٍ مِنْ هَذِهِ المَدَارِسِ النَّصْرَانِيَةِ عَدَدٌ كَثِيرٌ، فيَجْتَمِعُ مِنْهم في عِدَّةِ سِنِينَ الجَمِّ الغَفِيرِ، جلهم أو كلهم على هذا الحال قَدْ جَعَلُوا الحَقَّ وراءَهُمُ ظَهْرِيًّا، وما بَعْدَ الحَقِّ إَلا الضَّلَالُ.

ومَّا يُؤَيِّدُ ما قُلْتُهُ مِنْ مَقاصِدِ الإِفْرَنْجِ في فَتَحِ هَذِهِ المَدَارِسِ ما ذَكَرَهُ الفاضِلُ مُحَمَّدُ أَفندي طَلَعَتِ المِصْرِي في أَوَاخِرِ كِتَابِهِ (تَرْبِيَةُ المَرْأَةِ)^١ نَقْلًا عَنْ مَجْلَّةٍ سَمَّاها صاحِبُها (مَجْلَّةُ العَالَمِينَ) لأَحَدِ مَشَاهِيرِ كُتَّابِ الإِفْرَنْجِ بَيَّنَ فِيها ما يَبْذُلُهُ قُوْمُهُ مِنَ المَسَاعِي والأَمْوَالِ في سَبِيلِ تَعْلِيمِ النَّصَارَى في الشَّرْقِ، وغَرَسَ مَحَبَّةَ دَوْلَتِهِ في أَفْئِدَتِهِمْ، لِيَكُونُوا لَهَا مَصْنَعًا وَأَحْزَابًا.

ثُمَّ قال: وَمَعَ ذلكَ فَهَذِهِ المَسَاعِي لم تَنْتِجْ تَمَامَ الغَايَةِ المَقْصُودَةِ مِنْها، لِتَبَايُنِ الطَّوَائِفِ النَّصْرَانِيَةِ، فَمِنَ الصَّرُورِيِّ إِذْنِ جَمْعِ شَتَاتِ هَذِهِ الفِرَقِ؛ حَتَّى لا يُعَاكِسَ بَعْضُها بَعْضًا، وَمَتَى صارُوا فِرْقَةً وَاحِدَةً، تَمَكَّنُوا مِنْ مُقَاوَمَةِ المسلمين والاعتلاءِ عَلَيْهِمُ.

وفي كَلامِهِ على المَدَارِسِ النَّصْرَانِيَةِ التي اتَّخَذَها سَبِيلًا إلى غَايَاتِهِمُ المُنكَرَةَ شَطَطًا بِهِ القَلَمُ فَأَظْهَرَ ما تَكُنَّ صُدُورُ القَوْمِ مِنَ العَدَاوَةِ والبَغْضَاءِ لَدِينِ اللَّهِ تَعَالَى، قَائِلًا: إِنَّ مِنْ

^١ كِتَابُ تَرْبِيَةِ المَرْأَةِ والحِجَابِ، مُحَمَّدُ طَلَعَتِ حَرْبُ باشا (ت ١٣٦٠ هـ)، والظَّاهِرُ أَنَّهُ رَدَ على كِتَابِ (تَحْرِيرِ المَرْأَةِ)

لِقَاسِمِ أَمِينٍ. رَاجِعْ (طِ التَّرْقِي) ص ١٣٥-١٣٨.



الواجب على الأمم النصرانية أن تُعاكس الإسلام في كل طريق، وتحارب أهله بكل سلاح.

ثم رأى أن مقاومة الإسلام بالقوة لا تزيده إلا انتشاراً، وأن الوسيلة الفعالة لهدم أركان الإسلام وتقويض بُنيانه على ما قال هي تربية بنيه في المدارس النصرانية، وإلقاء بذور الشك في نفوسهم من عهد النشأة، ففسد عقائدهم الإسلامية من حيث لا يشعرون، وإن لم يتنصّر منهم أحد فإنهم يصيرون لا مسلمين ولا نصارى مُذبذبين بين ذلك، قال: وأمثال هؤلاء يكونون بلا ارتيابٍ أضرّ على الإسلام وبلادِهِ مما إذا اعتنقوا الديانة النصرانية، وتظاهروا بها.^١

ولما انتقل إلى ذكر تربية بنات المسلمين نقض كل ما في جرابه فقال: إن تربية أولاد المسلمين في المدارس النصرانية وإن كان لها من التأثير ما بيّناه، فإن تربية البنات في مدارس الراهبات أدعى لحصولنا على حقيقة القصد، ووصولنا إلى نفس الغاية التي وراءها نسعى، بل أقول إن تربية البنات بهذه الكيفية، هي التربية الوحيدة للقضاء على الإسلام من يد أهله.^٢

ثم ذكر ما يترتب على دخول مدارسهم من تغيير أخلاق المرأة المسلمة حتى تغلب على زوجها، ثم قال: ومتى تغلبت المرأة هكذا تغير نظام العائلة بالمرّة، وأصبح الرجل في قبضة تصرفها، فتؤثر في عقيدته، وتبعده عن الإسلام، وتربي أولادها على غير دين أبيهم، وفي اليوم الذي تُعدي الأم فيه أولادها بلبان هذه التربية تكون قد تغلبت على

١ "لقد اقتنصوا الممالك الإسلامية المستقلة فكانت من غنائمهم من أنها تعمل لفائدتهم، وتفكر بآرائهم، وتستجدي بنتائجهم، وتتأدب بأدابهم، وتتحلى بأزيائهم، وألحقت في دينها، بل نبذته عنها مكاناً قصياً؛ فكانت غير عاملة في استقلال حقيقي ولو خالت ذلك... وتلك خطة المستعمرين مع الأمم التي يرومونها بالاستعباد والاستغلال، حتى إذا أنسوا من أنفسهم اطمئناناً أبدوا شيئاً من خفاياهم وأظهروا ما تخفيه صدورهم". انظر: المنهاج مجلة علمية سياسية اجتماعية، م ١، ط ١، أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، ص ٧٤.

٢ "وأدرك المنصرون بعد استقرارهم في المنطقة أن تنصير المرأة المسلمة لا يتحقق إلا على أيدي النساء، وذلك بسبب الصعوبة التي وجدوها في التعامل مباشرة معها في مجتمع يضع كثيراً من الضوابط لعلاقة الرجل الأجنبي بالمرأة الأجنبية". انظر: كتاب الحملات التنصيرية إلى عمان، سليمان الحسيني، ص ١٧٧.



الإسلام نفسه، فتلك هي أقرب الطرق وأنجح الوسائل لمحاربة الإسلام بأهله دون جلبة ولا ضوضاء، وهي - لا شك - أدعى لنوال المأرب وبلوغ المرام، فليس لنا إلا اتباعها، أمّا السَّعي جهاراً في مُحاجَّة المسلم، فإنَّه يوقظ عوالم التعصُّب الكامنة في نفسه، الساكنة بين جوارحه، فلا يمكن تذليله، وهذا ليس من الحزم في شيء.^١

انتهى كلام الكاتب المذكور، قال بعده محمد أفندي طلعت: هذه ثغثات مصدر، أكتفي بالإشارة إليها دون تعليقٍ عليها، وأرجو أن تكون عبرة للآباء، وذكري للأُمَّهات والأبناء، اهـ. قال النَّبْهاني: "فليعتبر العاقلون، وإنَّا لله وإنا إليه راجعون".

وقال في الفصل العشرين: "ومن هذه المدارس مدارس مخصوصة بالإناث، افتتحتها بعض طوائف النَّصارى من الإفرنج وحُصوصاً البروتستانت في البلاد الإسلامية، وصاروا يجلبون لها بنات المسلمين بكلِّ حيلة ووسيلة، ويُحسنون إليهنَّ بأنواع الإحسان ولا سيَّما بنات الفقراء فيكسوهنَّ، ويعطوهنَّ الدَّراهم والدَّقِيق ونحو ذلك، فامتَلأت مدارسهم من هذه البنات، وهم يعلموهنَّ فيها أحكام دين النَّصارى، فلا تخرج البنت بعد انتهاء مدَّة المدرسة إلا وهي نصرانيَّة، أو زنديقة لا دين لها، ولم يبق في قلبها من العقائد الإسلامية شيء؛ لأنَّها حينما دخلت إلى المدرسة كانت صغيرة غير عارفة بأحكام الدين، وهكذا تعيش بعد خروجهَا من المدرسة، وتُربِّي أولادها وهي بحسب الظَّاهر مُسلمة، وفي الحقيقة لا دين لها، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العليِّ العظيم".

انتهى كلامه، فهذه حقيقة مدارسهم، وتلك غاية مطالبهم.

^١ "نع اهتمام المنصرين البالغ بموضوع تنصير المرأة المسلمة؛ بسبب مكانتها الحساسة في التركيبة المجتمعية، ودورها الخطير في التأثير، والتأثر التربوي، والثقافي، والاجتماعي. وقد أكد المنصرون على هذه النقطة في مؤتمر القدس العام الذي عقد في شبان ١٣٤٢ هـ / بين ٣-٦ أبريل ١٩٢٤م، وجاء في التقرير النهائي منه: "نظراً إلى الحقيقة ذات الأهمية الكبيرة، وهي أن للمرأة تأثيراً على الأطفال بنين وبنات وحتى ما يقارب سن العاشرة، وأن النساء يشكلن العنصر المحافظ في الدفاع عن الإيمان، فإننا نعتقد بأنه على المبشرين أن يعطوا عناية أكثر للعمل من أجل النساء المسلمات كوسيلة من أجل الإسراع بتحويل الأرض الإسلامية". انظر: كتاب الحملات التنصيرية إلى عمان، سليمان الحسيني، ص ١٧٤.



والخصم لا يخفى عليكم حاله حيث انقلب
سلب الممالك باحتيالٍ قد علمتم ما سلب
وأتى يُخادعكم فقلتم إنه الخيل المحب
بُثم وبات ينوشكم بمكائدٍ لم تحتسب
شعواء دسَّ إليكم تحت الليالي والحجب
من هم أن يصطاد من لم يخشَه مكرًا وقب
أبيركم ولديه أخبار الأوائِل تكتتب
كم وقعة تركت جماعهم هشيما محتطب
كم عرصة تركت ملو كهم عبيدا للعرب
كم غزوة تركت ذخا ثرهم غنائم تُتَهَب
أ يكون مع هذا وداذ أو صفاء مُرتقب
أير خصم خصمه وله الأمور كما يُحب
ما خلقت أسلافكم إلا الكئاب والكُتب
وسياسة تذر البعيد من المعالي مُقترِب
وبسالة يهتز منها الخصم رعبا مُضطرب
لا بالخدائع حربهم والمكر ما كان السبب
لكنه ضرب يُطير الهام طيران السحب
وترى الأكف به تسا قط مثل أوراقٍ تُحب
وترى الدماء به تصب كمثل غيثٍ مُنسكب^١
وترى المهتد فيه يلمع مثل برقٍ من كُتب
مع قلّة منهم وخصمهم كأرمال الكُتب
فغدوا نجومًا يُهتدى بهم من العليا طلب

^١ في (ب) و(هـ): "ينسكب".



قال النّبّهاني في الفصل الرَّابِع عشر من (إرشاده): ” ما هي يا ترى الفوائد التي حصّلها ابنك أيُّها المسلم في تلك المدارس النّصرانيّة في مقابلة تضييعه دينه وشرفه وحميّته وغيرته على ملته ودولته، وبعد صيرورته بقلبه عدوّاً لإخوانه المسلمين، وأوليائه الموحدين، بل عدوّ لآبائِهِ وأجدادِهِ الذين مضوا ناجين حائزين لِشَرَفِ هذا الدّين المبين. كما صارَ صديقاً مُحبّاً لأعداءِ دينِهِ وملّته وجنسيّته ودولته، ينشُرُ مناقبهم، ويسرُّ مثاليهم، ويحسنُ قبائِلهم، ويقدمُ على مصلحِ ملّته ودولته مصلحهم، فما الفائدة التي حصّلها في مقابلة ذلك إلا إحدى اللغات الإفرنجيّة، وشيئاً قليلاً من مبادئ العلوم التي علّمهُ بها لم يخرجهُ عن كونه جاهلاً، مع إمكان تعلّمها وأكثر منها بإتقانٍ وسلامة إيمان في مدارس المسلمين.

وما مثلك أيُّها الأب الجاهل في إضاعتك دين ابنك وشرفه، واستِعواضِهِ عنهُما بما استَعوضُهُ مما ذكر، إلا كمن أضاعَ أعظمَ الجواهر نفاسةً وقيمةً؛ حتى استفاد عِوضها فلوساً قليلة، أترى ذلك يعدّ عاقلاً؟ كلا والله، بل هو مجنون قد ابْتُلِيَ بأعظم بلاء، ومجذوم أُصيبَ بأقبح داء، بل ما فَقده أعظمُ مِنَ الأرض والسّماء، وما وَجده أَقلُّ من الذرّ والهباء، ولا يَخْفَى ذلك على كل فردٍ من أفراد المسلمين العُقلاء، وإنْ خُفي على أولئك الجهّلة الفسّاق المَرّاق الأغبياء، الذين قد فَعَلُوا بأولادِهِمْ ومُهَجّ أكبادِهِمْ في إدخالهم هذه المدارس ما لا يَفْعَلُ أكثرُ مِنْهُ الأعداءُ بالأعداءِ “.

وقال في الفصل الخامس عشر: ” أيُّها المسلم ماذا رأيتَ مِنَ الخير على مَنْ تَعَلَّمَ اللغات الإفرنجيّة وعلومهم الدنيويّة حتى خاطرتَ بدينك ودين ولدك هذه المخاطرة العظيمة، وأوقعتَ نفسَكَ وابْنَكَ في هذه المراتعِ الوَخيمة؟ إذا كانت مَعْرِفَةُ اللّغات الإفرنجيّة متكفّلة بِسعة الرِّزْق ورفعة الجاه وعلوّ المنزلة والعرّ والشّرف في الدنيا، فَلِمَ نَرى هؤلاء المعلمين الذين يَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ وَلَدُكَ في المدرسة هُم من أفقر النّاس وأذلهم وأشقاهم وأتعبهم في مَعِيشَتِهِمْ، لم يحصلوا شيئاً من رفعة الجاه وعلوّ المنزلة والعرّ والشرف في دنياهم مع كونهم ماهرين في هذه اللّغات، وولدك إنما يأخذ بَعْضَ ما عندهم منها، فلم



ينجح ولدك في دنياه بالقليل الذي يأخذه منهم ويتلقاه عنهم، وهم لم ينجحوا بالكثير الذي أفنوا في تعلّمه أعمارهم، وغاية ما حصّلوه من فوائد ذلك أن صاروا مُعلّمين في المدارس، يشتغلون طول النهار بمعاشاتٍ قليلة لا تكفيهم مع عيالهم إلا بقدر الضرورة، وخير من معيشتهم وأوسع وأهنأ وأنفع معيشة أقلّ عوامّ النَّاس المتسبّبين بنحو البيع والشراء كما هو مُشاهد، وهنالك جماعة ممّن يعرفون هذه اللّغات في أسوأ حالةٍ من الاحتياج لا يتيسّر لهم أن يكونوا مُعلّمين، وهم من أحوجّ الفقراء والمساكين، فلو كانت معرفة هذه اللّغات متكفّلة بسعة الرزق وكثرة المال، لَمَا كان هؤلاء في أضيّق معيشةٍ، وأسوأ حال.

وأيضاً انظر إلى أغنياء المسلمين، تجدهم من التجار أهل البيع والشراء، والأخذ والعطاء، وجلّهم أو كلهم لا يعرفون هذه اللّغات، وهم في كمال الرّفاهية، ورفعة الجاه، وعلوّ المنزلة، وسعة العيش مع حفظ الدين والدُّنيا، فالرزق إذن والجاه لا يتوقّف واحد منهما على معرفة هذه اللّغات، فقد ظهر أنّها غير مُتكفّلة بسعة الرزق وعلوّ المنزلة في الدُّنيا، بل الغالب عكس ذلك فيمن مهروا فيها، وصرفوا أكثر أوقاتهم في تعلّمها والتّوسع فيها؛ لأنّ هذه الأوقات الطّويلة التي صرفوها في سبيلها لو صرفوها بالشُّغل في التّجارة وأسباب الكسب، لربما حصّلوا من المال ما استغنوا به عن أن يكونوا مُعلّمين في المدارس، أو كتاباً عند بعض التجار بمعاشاتٍ قليلة، فاعلم ذلك وإياك أن تضلّ ولدك إياك، والله يتولّى هُداك“.

وقال في الفصل السابع عشر: ”اعلم أيُّها المسلم الجاهل، والمجنون لا العاقل، الذي خاطرَ بدينٍ ولَدِه، فوضّعه بهذه المدارس، إني والله الذي لا إله إلا هو، لو أعطيتُ الدُّنيا بخدافِها على أن أختارَ لنفسي أو لولدي الكُفر لا أفعل، وهكذا كلّ مُسلم، وإذا لم يكن كذلك لا يكون مُسليماً. وقد اخترت أنت الكُفر لنفسك ولولّدك مجّاناً على وهم أن ولدك يحصل له شيءٌ من المال والجاه، بسبب ما يتعلّمه في هذه المدارس النّصرانيّة من اللّغات الإفرنجيّة والعُلوم الدنيويّة، مع أنّك إذا نظرتَ نظرَ تحقيق، لم ترَ من كلّ مائة شخص من هؤلاء التلاميذ خمسة أشخاص حصل لهم العزّ والجاه والمال



بسبب هذه المدارس، وترى أكثر من هذا العدد بكثير يحصلون المال الكثير والجاه الكبير بدون هذه اللغات والعلوم، ومع ذلك تكذب مشاهدة بصرك وعلمك الصحيح، وتصدق الشيطان وإخوانه - وشهرهم نفسك التي بين جنبيك - فيما يسؤلون لك من هذه الأوهام التي أضعت بها منك ومن ولدك دين الإسلام الذي لا يعادله شيء من الدنيا وما فيها من الأحكام، وإذا لم يؤثر فيك أيها الجاهل هذا الكلام، فلا لؤم علينا إذا قلنا أنك لست من ذوي الأحلام، وعلى من اتبع الهدى لا عليك السلام“.

وقال في الفصل الثامن عشر: ”اعلم أيها المسلم أن إدخالك ولدك إلى هذه المدارس النصرانية أمر عظيم، وبلاء جسيم لا أقدر أصف لك عظمتها وجسامتها، ومن ذلك أنك ربما تكون بوضعك ولدك فيها على الوجه المذكور سبباً لكفره، وكفر دُرَيْتِه من بعده، ويحتمل أن يخرج منه من الذرية ألوف كثيرة، فتكون أنت السبب في ضلالهم، وعليك فوق إثمك مثل إثمهم أجمعين. قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَاعْلَيْهِ إِثْمُهَا وَإِثْمُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^١، والمتسبب بالخير كفاعله، والمتسبب بالشر كفاعله، وكيف ترضى لنفسك ذلك وأن تكون جد قوم كثيرين كلهم أهل كفر وضلال، ولكن لا غربة في رضاك لهم بذلك إذا رضيت به لنفسك، فسلكت بها أقبح المسالك، وأوردتها شر المهالك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم“.

وقال في الفصل الحادي والعشرين: ”أنت تعرف أيها الإنسان قلبك وما انطوى عليه من العقائد الدينية، فإن كنت تعلم نفسك غير مسلم، وغير معتقد عقائد الإسلام، فما لي معك كلام، لأنك زنديق منافق، وقد اخترت لولدك من الزندقة والتفان ما اخترته لنفسك، فأنت وهو - إذا تبعك على ضلالك - في الدرك الأسفل

^١ صحيح مسلم، دار التأسيس، ٣م، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة على ذوي الحاجة وأجر من سن فيها سنة، ص ٢٠٥. جاء بلفظ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».



مِنَ النَّارِ وَبِئْسَ الْقَرَارُ. وَإِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا حَقِيقَةً، مُعْتَقِدًا عَقَائِدَ الْإِسْلَامِ، وَهَذَا هُوَ ظَنُّنَا فِيكَ، وَاللَّهُ يَهْدِينَا وَيَهْدِيكَ، فَمَا بِالِكَ تُفْرِطَ فِي دِينِ ابْنِكَ هَذَا التَّفْرِيطَ الْعَظِيمَ، بَلْ تُفْرِطَ فِي دِينِ نَفْسِكَ أَيْضًا، وَتَرْتَعَ أَنْتَ وَابْنُكَ فِي هَذَا الْمَرْتَعِ الْوَحِيمِ، فَإِنْ كَانَ قَدْ حَسَّنَ لَكَ الشَّيْطَانُ وَأَعْوَانُهُ هَذَا الْأَمْرَ الْقَبِيحَ، فَهِيَ أَنَا وَأَمْثَالِي نُوضِّحُ لَكَ قُبْحَهُ وَوَبَالَهُ غَايَةَ التَّوْضِيحِ، فَلِمَ تُطِيعُهُمْ وَتَعْصِيَنَا، وَنَحْنُ نَدْعُوكَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَهُمْ يَدْعُونَكَ إِلَى النَّارِ، وَنَحْنُ نَتَسَبَّبُ بِنَجَاحِكَ وَنَجَاتِكَ وَهُمْ يَتَسَبَّبُونَ لَكَ بِالْهَلَاكِ وَالْدَّمَارِ، مَعَ مَعْرِفَتِكَ يَقِينًا أَنَّا أَعْرَفُ مِنْكَ فِيمَا يُصْلِحُ الدِّينَ وَمَا يُفْسِدُهُ، وَمَا يُقَرِّبُ الْإِنْسَانَ مِنَ اللَّهِ وَمَا يُبْعِدُهُ. فَاللَّهُ اللَّهُ، اتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ وَوَلَدِكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ“.

وقال في الفصل الخامس والعشرين: ”وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّا نَرَى طَوَائِفَ النَّصَارَى عَلَى الْإِطْلَاقِ لَا يَضَعُونَ أَوْلَادَهُمْ فِي مَدَارِسِ الْمُسْلِمِينَ مَهْمَا كَانَتْ نَاجِحَةً، بَلْ لَا تَضَعُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَوْلَادَهَا فِي مَدَارِسِ طَائِفَةٍ أُخْرَى، لَأَنَّهُ تَتَغَيَّرُ عَقَائِدُهُمْ، فَإِنْ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تُكْفِّرُ الْأُخْرَى، وَكَذَلِكَ الْيَهُودُ مَعَ قَلَّتِهِمْ وَذَلَّتِهِمْ فَتَحُوا لِأَوْلَادِهِمْ مَدَارِسَ مَخْصُوصَةً بِهِمْ لَأَنَّهُ يَحْتَاجُونَ فِي تَعْلِيمِهِمْ إِلَى وَضْعِهِمْ فِي مَدَارِسِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ النَّصَارَى، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الطَّوَائِفِ لِحَرَصِهِمْ عَلَى أَدْيَانِ أَوْلَادِهِمْ. وَفِي حَالٍ مُشَاهِدَتِنَا ذَلِكَ مِنْهُمْ، نَرَى كَثِيرًا مِنْ فُسَّاقِ الْمُسْلِمِينَ غَيْرِ حَرِيصِينَ عَلَى دِينِ أَوْلَادِهِمْ، فَيَضَعُونَهُمْ فِي مَدَارِسِ أَيْ طَائِفَةٍ مِنْ طَوَائِفِ النَّصَارَى، بَلْ وَفِي مَدَارِسِ الْيَهُودِ أَيْضًا، وَيُخَاطِرُونَ بِدِينِهِمْ غَايَةَ الْمَخَاطَرَةِ؛ لِيَتَعَلَّمُوا شَيْئًا مِنَ اللُّغَاتِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ وَبَعْضِ الْعُلُومِ الدُّنْيَوِيَّةِ، حَالَةً كَوْنُهَا يُمكنُ تَعَلُّمِهَا فِي مَدَارِسِ الْمُسْلِمِينَ، وَفِي غَيْرِ الْمَدَارِسِ أَيْضًا بِأَنْ يَسْتَأْجِرَ أَبُو الصَّبِيِّ مُعَلِّمًا مَخْصُوصًا لِوَلَدِهِ، يُعَلِّمُهُ اللُّغَةَ الَّتِي يُرِيدُهَا.

فَانْظُرْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ حِرْصَ هَؤُلَاءِ عَلَى أَدْيَانِهِمُ الْبَاطِلَةِ، وَعَدَمَ حِرْصِكَ عَلَى دِينِكَ الْحَقِّ، وَتَعَجَّبْ مِنْ نَفْسِكَ إِنْ كَانَ يَنْفَعُكَ الْعَجَبُ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنِّي لَا أَخْشَى عَلَى وَلَدِي اتِّبَاعَ أَدْيَانِهِمْ، لِأَنَّهَا ظَاهِرَةُ الْبُطْلَانِ. فَهَذَا يَا أَخِي مِنْ تَسْوِيلَاتِ النَّفْسِ وَوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ؛ لِأَنَّ وَلَدَكَ مَتَى اخْتَلَّتْ عَقِيدَتُهُ



الإسلامية، فدخله في دينهم وعَدَم دُخوله سَيَّان، وها أنا اجتهدتُ في نُصْحِكَ والله المستعان^١.”

وقال في الفصل الثاني والثلاثين: ”اعلم أنَّ من جُهَّال المسلمين مَنْ يَتَقَرَّب إلى قُلُوبِ النَّصارى والإفرنج بِوَضْع وَلَدِهِ في مَدَارِسِهِمْ، وَيَتَوَدَّد إليهم بذلك حَتَّى يُجْبُوهُ، ويقولوا: فلان ليس عِنْدَهُ عَصَبِيَّة دِينِيَّة. فَيَا أَيُّهَا الجَاهِل الفاسِق، لَأَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ تَتَعَبَّر من نِسْبَتِكَ إلى العَصَبِيَّة الدِينِيَّة، وتَسْتَرها عَنْهُمْ وَهُمْ يَفْتَخِرُونَ بها، وَيُظْهِرُونها بِعَدَم وَضْع أولادِهِمْ في غير مَدَارِسِهِمْ، مَعَ أنَّ دِينَهُمْ من أَبْطَلِ الباطِل الذي يَنْبَغِي أن يُتَعَبَّر به حَقِيقَةً، ودينك من أَحَقِّ الحَقِّ الذي يُفْتَخَرُ به حَقِيقَةً، أَمَّا أَنْتَ مَنْسُوب لَدِينِ الإسلام الذي هُوَ خَيْر الأديان وأَفْضَل ما عُبدَ به الرَّحْمَن، بل هو الدِّين الحقُّ الوَحِيد، الذي ما عَلَى فَضْلِهِ وَكَمالِهِ في السَّابِقِينَ واللاحِقِينَ مِنْ مَزِيد، فَنَحْنُ - والحمد لله - لَنَاكِلَ الفَخْرِ في هَذِهِ النِّسْبَةِ الشَّرِيفَةِ التي لا أَشْرَف مِنْها.

أنا ابن دارة معروفًا بما نسبي وهل بدارة يا للنَّاسِ من عارٍ؟^٢

ويا لَيْتَ شعري ما هِيَ العَصَبِيَّة الدِينِيَّة؟ هل هِيَ إلا أن تَتَمَسَّكَ بِدِينِكَ، وتُحَلِّ ما أَحَلَّ الله، وتُحَرِّم ما حَرَّمَ الله، وتُحِبَّ في الله، وتُبْغِضَ في الله، وهل الدِّين غير هذا؟ وأَنْتَ تَعْلَم أنَّ دِينَ الإسلام قَدْ بُنِيَ عَلَى الإِعْلانِ والإِظْهارِ، لا عَلَى التَّكْثُمِ والاستِتارِ.

^١ ”ليت شعري كيف يرجو الوالد الصلاح من ولده ضيَّعه التعليم في إبانته؟ أم كيف يؤمل أن تنبت أرضه بُزًّا وهي مهملة غير مزدوجة؟ لا لا وربك، إن المسببات ترتبط بالأسباب والنتائج تتبع المقدمات. أم كيف يطمعون أن تغلح أولادهم وهم مفسدون؟ كلا لا يستقيم الظل والعود أعوج، والفرع يتبع أصله لا محالة.

وفي الأصل غدر والفروع توابع وكيف وفاء النجل والأب غادر

إذا اعتلت الأفعال جاءت عليلة كحالتها أسماءها والمصادر“

انظر: المنهاج مجلة علمية سياسية اجتماعية، المجلد الثاني، ط ١، أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، ص ٦٢١.

^٢ البيت لسالم بن دارة، من قصيدة طويلة يهجو فيها بني فزارة. انظر: خزانة الأدب، البغدادي، ج ٣، ص ٢٦٦.



والسُّتْرُ دون الفاحشاتِ ولا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرٍ^١

أما تَرَى الله تعالى كيف شرَعَ الأذان في كلِّ يَوْمِ خَمْسِ مَرَّاتٍ، وَبَنُوا لذلكِ المآذِنَ، وأعلنوه غايةَ الإعلانِ، وأظهروه غايةَ الإظهارِ على رؤوسِ الأَشْهادِ في جميعِ البلادِ، أتستره أنت أَيُّها الجاهلُ الفاسِقُ بتوهمِكَ أَنَّ إظهارَه عليكِ عارٌ، وأَنَّكَ بِذلكِ تَسْتَجْلِبُ مَوَدَّةَ الكُفَّارِ، أَفَ لَكَ مِنْ مُسْلِمٍ ساقِطِ الهِمَّةِ عديمِ النُّخوةِ، هل سَمِعْتَ قَطَّ أَنَّ عاقِلًا يَجْتَهِدُ في سِتْرِ شَرَفِهِ الذي لا شَرَفَ مثله ويَتَعَيَّرُ بإعلانه بين أعدائه وإخوانه؟“.

قال: ”ومن أعجب ما سَمِعْتُ في هذا الباب أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَكابرِ المسلمين، وهو مِنْ المحافظين على الصَّلَاةِ والصَّيَّامِ وأنواعِ العباداتِ، ويُعَدُّ مِنْ ضُلَّحاءِ الجُهَّالِ، حَضَرَ في دَعْوَةِ بَعْضِ أَكابرِ النُّصارى، فحينما وَضَعُوا الحَمرَ على المائدةِ وهو جالسٌ عليها، تناولَ كَأْسًا وَشَرِبَهُ؛ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقُولُوا مُتَعَصِّبٌ في دينه، وظَنَّ بِجَهْلِهِ أَنَّ هذا الخاطِرَ الشَّيْطاني يَكُونُ عُذْرًا لَهُ، ولا يخلُ بِطاعاتِهِ، فانظُرْ إلى الجَهِلِ وآفاتِهِ“.

وقال في الفصلِ الثَّلاثين: ”إِنْ كُنْتَ أَيُّها المسلمُ تَحْتَ حُكْمِ غيرِ المسلمين مُجْبورًا على وَضْعِ وَلَدِكَ في مدارسِهِم، فَإِذَا أَنْ تَكُونَ قادِرًا على الهِجْرَةِ إلى بلادِ الإسلامِ التي تَحْتَ حُكْمِ المسلمين، أو غيرِ قادِرٍ على الهِجْرَةِ، وقد بيَّنَ اللهُ تعالى في كِتَابِهِ العَزِيزِ حُكْمَ ذلكِ في الحالتين، فقال في سورَةِ النَّساءِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ

^١ البيت لزهير بن أبي سلمى من قصيدته: لِمَنِ الدِّيارُ بَقْنَةَ الحِجرِ. انظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، المكتبة العلمية، ص ٥٦.



مُرَاعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۖ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٧-١٠٠﴾ [النساء: ٩٧-١٠٠].

قال البيضاوي في تفسيره: في الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة دينه. قال: وعن النبي ﷺ: «مَنْ فَرَّ بِدِينِهِ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ وَإِنْ كَانَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَكَانَ رَفِيقَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ وَنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ»،^١ اهـ.

وقال محشي الشهاب الحفاجي: والهجرة من بلاد الكفار، وبلاد لا يُقام بها شعائر الإسلام واجبة كما نقله ابن العربي المالكي، قال: وكذا البلاد الوبية^٢، اهـ.^٣ وقال ابن حجر في (فتح الباري): واستنبط سعيد بن جبير من هذه الآية وجوب الهجرة من الأرض التي يُعمل فيها بالمعصية، اهـ.^٤

هذا كلامه وهو طرف مما تضمنه (إرشاده) من المراسد البديعة والنصائح البالغة، وأنت تعلم أنه كلامٌ مُطْلَعٌ على دسائس القوم، خبيرٌ بأحوالهم، مُشفِقٌ بأمتهم، ناصحٌ لهم، فإن سمعت مقالته وقيلت نصيحته، أخذت خطأ وافراً من الحزم والكيس، وإن أهملت مقالته وأطرحت نصيحته، ألقيت بيدك إلى التهلكة، وسلمت نفسك لعدوك، وكنت من الذين وصفهم الله تعالى بأنهم ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢١]، فאלله الله في نفسك ودينك ونسلكك ﴿وَمَنْ يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨].

^١ علق محقق كتاب (التفسير الميسر) للشيخ سعيد الكندي على هذا الحديث بقوله: "لم نقف عليه في الربيع ولا في الكتب التسعة".

^٢ في (أ) و(و): الوبية، وكتبت في الحاشية: الوبية. وجاء في كتاب (المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث): "قال الأصمعي: ولا أنكر أن يُقال: وبأت، ولا وبث، وأرض وبئة ومؤبوءة ووَبِيَّةٌ أيضاً". انظر: ج ٣، باب الواو مع الباء، ص ٣٧٧.

^٣ انظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، الجزء الثالث، ص ١٧١.

^٤ انظر: كتاب فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج ١٣، دار الرسالة العالمية، ط ١، ص ٢١٢.

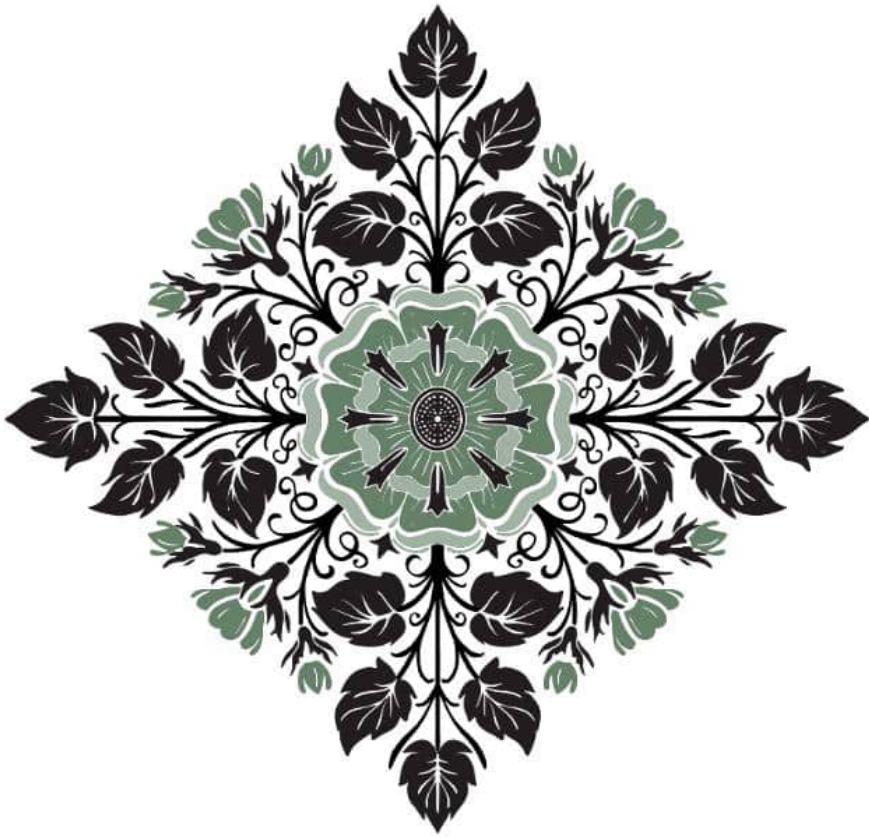


لا يُقال أن كلامه في هذا الفصل الأخير يقتضي وجوب الهجرة، وهي منسوخة بعد الفتح، لأننا نقول: إنما نسخت الهجرة بعد الفتح حيث^١ قوي الإسلام، وأمن المسلمون من الفتنة في دينهم، وتظاهر الناس بالإسلام، وتمسكوا بعروته، وتعززوا بمنعته، وتمكنوا من دعوته. وكانت الهجرة قبل ذلك واجبة، حيث كان المسلم يُفتن في دينه بين ظهري الكفار، وهو لا يستطيع دفاعاً، ولا يملك امتناعاً إلا أن يعطيهم ذلك بلسانه، وقلبه مطمئن بالإيمان، فشرع الله لهم في ذلك الحال التقيّة، لطفاً منه ورحمة، وأوجب الهلاك على من شرع بالكفر صدراً، فالتقيّة سبيل المستضعفين، والهجرة سبيل المستطيعين. فإذا نزلت على بعض المسلمين حالة مثل حالة من كان قبل الفتح من المسلمين، وجب أن يُعطوا حكم ذلك، لأنّ الفرار بالدين واجب في كل زمان. فالاطمئنان في أمكنة الكفار إنما تجوز عند سلامة الدين، ولا تجوز عند فساد، ومن اطمأن فيها مع فساد دينه كان قد آثر الدنيا على الدين، ودخل تحت الوعيد المذكور في الآية، ومن هاهنا قال أبو يعقوب^٢ - رحمه الله تعالى -: لا يجوز اتّخاذ الأوطان في البلدان التي تملكها النصارى، وتغلبوا على أهلها، وجرت فيها أحكامهم^٣. وذلك كلّه إنما يُريد به الفرار بالدين، فهو تحذير لهم من الإقامة بها، لا كما توهمه بعض الجهلة أنّ له أن يطمئن، ولكن يُصلي فيها قصراً فقط. والله المستعان، وبيده كل خير، والعلم عند الله، والسلام.

^١ في (ج) و(د) و(ز): "لما".

^٢ هو يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراقي الوارجلاني (أبو يعقوب)، من أشهر علماء الإباضية بالمغرب (ت ٥٧٠هـ)، وهو الذي رتب مسند الإمام الربيع - رضي الله عنهما -، وله يد في علم القرآن، وعلم اللسان، وفي الحديث والأخبار، وفي رواية السير والآثار، وعلم النظر والكلام، والعلوم الشرعية، وعلم فرائض المواريث، ومعرفة رجال الحديث، ولم يخل من اطلاع علوم الأقدمين.

^٣ انظر: كتاب الدليل والبرهان، ج ٣، باب مسائل ما بيننا وبين المشركين، ص ٩٨. وأيضا: كتاب العدل والإنصاف، ج ٢، باب الخروج من الأمة، ص ٨٨.





الفصل الثاني

في لباس النصارى

وَقَدْ تَهَيَّئْتُمْ عَنْ ذَلِكَ^١، فَقَالَ الْمُعْتَرِضُ الْمَجَادِلُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ: لَا يَخْفَى عَلَى شَيْخِنَا أَنَّ اللِّبَاسَ لَيْسَ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَلَا مِنَ الْإِعْتِقَادِيَّاتِ، إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْعَادَاتِ، وَلَقَدْ صَرَّحَ الْأَثَرُ عَنْهُ ﷺ أَهْدَيْتَ إِلَيْهِ كُرْزِيَّةً مِنَ الرُّومِ ضَيِّقَةُ الْأَكْمَامِ، كَانَ إِذَا أَرَادَ الْوُضُوءَ يَخْرِجُ يَدَيْهِ مِنْ أَذْيَالِهَا.

وَأَيْضًا فَلَابِسَ (الكوت)^٢ لَا يُقَالُ لَهُ لَا يَبْسُ لِبَاسَ الْمُشْرِكِينَ، لِأَنَّ هَذَا (الكوت) أَخَذَهُ الْمُسْلِمُونَ، فَعَرَّبُوهُ وَفَصَّلُوهُ تَفْصِيلًا غَيْرَ تَفْصِيلِ الْمُشْرِكِينَ، فَالْبَعْضُ زَادَ فِي طَوْلِهِ، وَالْبَعْضُ نَقَصَ مِنَ الطَّرْفَيْنِ - الطُّوْلَ وَالْعَرْضَ - وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَلَرَبَّمَا الْخَائِطُ كَانَ مُسْلِمًا! نَعَمْ؛ لَوْ لَبَسَ (الكوت) وَ(الْبَنْطَلُونَ) وَ(الْبُرْنِيظَةُ)^٣، وَعَقَّدَ الزُّنَّارُ^٤، وَعَلَّقَ الصَّلِيبَ فِي عُنُقِهِ مِنْ غَيْرِ إِكْرَاهٍ فَهَذَا لَا يَبْسُ لِبَاسَ الْمُشْرِكِينَ. وَأَيْضًا فَالْكُوتُ مُنْفَرَّدًا أَخَفَّ إِضَاعَةً مَالِ مِنَ الْجَوْخَةِ^٥ وَالبِشْتِ^٦ الْمَنْقُوشَيْنِ بِالْقَصَبِ الْمَقْضَضِ، الْبَالِغُ فَوْقَ الْحَاجَةِ مِائَةَ رُبُيَّةٍ

^١ أي عن لباس النصارى.

^٢ لعله نفس (الكوت) المتعارف عليه حالياً؛ فقد ذكر في الجوابات أنه مما يلبس لدفع البرد.

^٣ البرنيظة: لباس الرأس عند القرّنج. وقيل: هو لباس الرأس يلبسه كهنوت النصارى.

^٤ الزُّنَّارُ: حِزَامٌ يَشُدُّهُ الْمَجُوسِيُّ وَالنَّصْرَانِيُّ عَلَى وَسْطِهِ، يُقَالُ: تَزَنَّرَ النَّصْرَانِيُّ، أَيْ: شَدَّ الزُّنَّارَ عَلَى وَسْطِهِ.

^٥ الجوخ: كلمة فارسية معربة، وأصلها في الفارسية: جوخا، وهي أيضاً في التركية: جوخه، من الكلمات المشتركة بين الفارسية والتركية، والجُوخَةُ واحدة الجوخ، وهو نسيج صفيق من الصوف، والجوخة: ثوب قصير الكمين والبدن بغير بطانة من تحته ولا غشاء من فوقه، يتخذ من الصوف النخين. انظر: كتاب المعجم العربي لأسماء الملابس، رجب عبد الجواد إبراهيم، ص ١١٩.

^٦ البِشْت: كلمة معربة، أصلها في الفارسية: بُشْت، ومعناها: العباءة الواسعة من نسج غليظ كالصوف، يلبسها الرجال، معروفة في دول الجزيرة العربية. انظر: المصدر السابق، ص ٦٥.



وحَمْسِينَ رُبِّيَّةً وأَقْلَهَا ثَلَاثِينَ رُبِّيَّةً، وَأَيَّ إِضَاعَةِ أَكْثَرٍ مِنْ هَذَا، إِذْ تَمُنَّ وَاحِدٌ مِنْ هَذِينَ يَسُدُّ حَاجَةَ جَمِّ غَفِيرٍ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَهَا هُمْ جِيَاعٌ.

وأيضاً فالكوت ليس من خصوصيات لباس النصارى فقد شوركوا فيه، وأيضاً أكلُ مُسْتَعْمَلٍ لِلْمُشْرِكِينَ حَرَامٌ عَلَيْنَا تَنَاوَلُهُ؟ فالكوت تلبسه^١ الزنجباريون بعد ما يلبسون الإزار والقَمِيصَ والكَمَّةَ والعِمَامَةَ، بدلاً من الجوخة؛ لحَقَّتْهُ عَلَى الْجَسَدِ، وَأَقْلَ مَغْرَمًا، وَإِنْ كَانَتْ شَرِيعَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَيْسَ فِيهَا تَوْسَعٌ لِهَذَا الْكُوتِ، فَالْأَوَّلَى لِأَهْلِ زَنْجِبَارِ الْخُرُوجِ مِنْ زَنْجِبَارٍ، وَلَا فَائِدَةَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «جِئْتُ مُبْسِرًا لَا مُعَسِّرًا»^٢. لِأَنَّ زَمَانَنَا هَذَا، الْمَلْبُوسُ وَالْمَأْكُولُ وَالْمَشْرُوبُ غَالِيهِ مِنْ عَمَلِيَّاتِ الْمُشْرِكِينَ، وَتَرَكَ أَفْرِيقِيَا لِلْمُشْرِكِينَ مِمَّا تَطْلُبُهُ الْمُشْرِكُونَ فِي دَهْرِهَا، وَلَا قَائِلَ بِهِ إِذَا لَمْ يَمْنَعُوهُمْ دِينُهُمْ.

والجواب: أمَّا (الكوت) فلا أعرفه، ولا أقول فيه على الخصوص شيء، وإنما أنكلم في لباس الكفار من نصارى وغيرهم. ولعلَّ الْفُقَرَاءَ الَّذِينَ كَانُوا حَوْلَكُمْ جِيَاعًا، أَمْسُوا بِبَرَكَةِ لِبَاسِكُمُ الْجَدِيدِ شِبَاعًا، وَتَالَلَهُ مَا تَرَكْتُمْ لِبَاسَكُمْ الْأَوَّلَ زُهْدًا وَلَا قَنَاعَةً وَلَا اقْتِصَادًا، وَلَا لِقَصْدِ الْمَوَاسَاةِ لِفُقَرَائِكُمْ، لَكِنَّهُ أَشْرَبَ فِي قُلُوبِكُمْ حُبُّ أَعْدَائِكُمْ، فَاسْتَحْسَنْتُمْ مِنْهُمْ كُلَّ قَبِيحٍ، وَاسْتَصْلَحْتُمْ كُلَّ فَاسِدٍ، وَتَشَبَّهْتُمْ بِحَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ، وَتَزَيَّنْتُمْ بِحِيَاثِهِمْ، وَطَبَعْتُمْ أَلْسِنَتَكُمْ عَلَى لُغَاتِهِمْ، وَنَبَذْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَسِيرَةَ السَّلَفِ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، فَامَنْتُمْ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَكَفَرْتُمْ بِبَعْضٍ، وَاسْتَبَدَلْتُمْ بِالرُّشْدِ غِيًّا، وَبِالْهُدَى ضَلَالًا، وَبِعْتَمَ الْآخِرَةَ بِالْدُّنْيَا، فَمَا رِبَحْتَ تِجَارَتَكُمْ وَمَا أَنْتُمْ مُهْتَدِينَ^٣، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ وَتَدَارَكَهُ بِلُطْفِهِ، فَأَيَّقَظَ هِمَّتَهُ، وَفَتَحَ بَصِيرَتَهُ، وَنَدِمَ عَلَى خَطِيئَتِهِ، وَرَاجَعَ سِيرَةَ سَلَفِهِ، وَرَجَعَ عَنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ مِنْ نُورِ الْهُدَى، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنَا وَإِيَّاكُمْ حُسْنَ الْإِتِّبَاعِ، وَأَنْ يُجَنِّبَنَا قُبْحَ الْإِبْتِدَاعِ.

^١ الأنسب: يلبسه.

^٢ لم أجد هذا اللفظ.

^٣ كذا كتبت في النسخ الخطية، ولعلها جاءت منصوبة باعتبار القول القائل أن (ما) هنا تعمل عمل (ليس) وهي المعروفة بـ (ما الحجازية)، والله أعلم.



والملايس الفاخرة موجودة عند العرب في جميع أياّمها، كلّ عصر بحسب ما يليق به في جاهليّة وإسلام، ولم يحرم الشارع منها إلا الذهب والحير على الرجال خاصّة، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وإنّما تركها من تركها إمّا لعدم وجودها عنده، أو لزهدي وقناعة، ولم يتركها أحدٌ ممّن كان قبلكم لأجل ما أشرتم إليه، ولم أر مثلكم يا أهل زنجبار في اختياركم هذا اللباس الأجنبي، وسرعة انطباع أخلاق العدوّ فيكم. وهؤلاء البانيان^١ من قديم الزّمان يُخالطون العرب، وما تزيّوا بزيّهم، ولا لبسوا شيئاً من ملايسهم؛ حميةً لملّتهم، وتعضّباً لأبائهم، وأنفةً عن مخالفتهم، وهم شرّ النّاس، وأحسن النّاس، ولباسهم شرّ اللباس، وأنتم مع كمال هيئاتكم، وعُلو شأن آبائكم وشرف أسلافكم، سارعتم هذه المسارعة كلها في تبديل هيئاتكم المنيفة، وتغيير أخلاقكم الشّريفة، أأحياء أنتم أم أموات؟ أعقلاء أنتم أم مجانين؟

والمنع من لباس الكفّار ومن التشبه بهم في جميع الأحوال ثبت بالنصوص الصّحيحة، كما سنوردها إن شاء الله تعالى. وأمّا لبس ما كان شعاراً للكفر من يهوديّة أو نصرانيّة أو مجوسيّة كالزّنار ونحوه فهو شرك إجماعاً، وخروج عن الملة الإسلامية، وكُفر بعد إيمان، وذلك الكفر الفعلي، وما دون ذلك من اللباس والهيئات فإن لبسه لا بس لقصد التشبه بهم، مُستحسناً لهيئتهم، مُستلذاً لحالتهم، فهو شرك أيضاً؛ لأنّه قد أثر الكفر على الإيمان، وانتظم في سلك أولياء الشّيطان، وإن لبسه عارياً من ذلك القصد الشّنيع فأقلّ حاله أن يكون عاصياً غير مُطيع. ولبسه ﷺ للحميص^٢ الشّاميّة، والجبة^٣

^١ البانيان هم الهندوك - أي الهندوس - كما جاء في (إغاثة الملهوف) للمحقّق الخليلي. وقال الشيخ سعيد الكندي في (التفسير الميسر) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ﴾ [البقرة: ١٧٧]: "قيل: إنّ المجوس هم البانيان [كذا]". وفي (عمان عبر التاريخ) للشيخ سالم السيّدي، جاء: "وكان للنصارى وكيلان من البانيان أي الهندوس"، وقال في موضع: "ونورثم القائد الهندي وهو المعروف عند أهل عمان بالبانيان، وهم قوم يعبدون البقر لعنهم الله"، أمين.

^٢ كساء له أعلام، أي: فيه شيء من الخطوط الممتدة، وقد تكون في طوله وقد تكون في عرضه.

^٣ ثوب سابغ، واسع الكتفين، مشقوق المقدم، يلبس فوق الثياب.



الشَّامِيَّة، والحِزَّة^١ اليمانيَّة، والثَّياب السَّخُولِيَّة^٢، لا يدلّ على جواز ذلك، فإن الثَّياب الفاخرة في عصره ﷺ وقبل عصره كانت تُعمل بالشَّام واليمن، وكان ذلك لباس العرب في زمانه ﷺ وقَبْلَ زمانه، وكان في الناحيتين - أعني اليمن والشَّام - مِنَ العرب الألوْف، المؤلَّفة، بل اليمن كلها للعرب، وغالب الشَّام كذلك، وإن كان الملوك فيها الرُّوم، فملايس العرب في ذلك العصر مُتَّحِدَة أو مُتْقَارِبَة، وهي خِلاف ملايس الرُّوم والقبط والترك وأشباههم، فلا تَشَبُّثٌ لِمَتَشَبِّثٍ بِلِبْسِهِ ﷺ لِتِلْكَ المَلابِيس المذكورة.

وهديَّة الكرزيَّة المذكورة في الاعتراض لا أعرفها، ولا أعرف مَنْ ذكَّرها، ولا أعرف الأثر الذي ذُكِّرَتْ فيه، وليت شعري الكرزيَّة ما هي؟ وهل هي من ذوات الأكمام أم لا؟ وما هذا الاسم، أعربي أم لا؟ ولو وُجِدَ ذكرها كذلك لما صَحَّ الاحتجاج بها حتَّى يصح نَقْلُها عن النَّبي ﷺ، وأتَمَّا مِنْ لِبَاسِ الرُّومِ خاصَّة، وأتَّى لكم بذلك؟

وقولكم: ”اللباس ليس من العبادات ولا من الاعتقاديَّات، إمَّا هو من العادات“.
جوابه: لو كان من العبادات أو الاعتقادات لَزِمَ الشَّرْكُ والعياذ بالله، وحيث كان من العادات كان الأمر فيه دون ذلك. وقد ثَبَّتَ النُّصوص عن الله ورسوله ﷺ في النَّهي عن التَّشَبُّهِ بالأعاجِم، وعن التَّشَبُّهِ باليهود والنَّصارى، وعن التَّشَبُّهِ بِمُطَلَقِ الكُفَّار في جميع أحوالهم جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً.

أَمَّا الْمَنعُ الْإِجْمَالِي فَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١]، أي لا تكونوا مثلهم، ولا تَتَّبِعُوهُمْ في أحوالهم. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، وهؤلاء القوم هم أسلاف اليهود والنَّصارى، وَصَفَهُمُ الرَّبُّ تَعَالَى بِالضَّلَالِ وَالْإِضْلالِ، وَأَتَمَّ إِمَّا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ. وقوله تعالى: ﴿إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ

^١ هي ثياب كتان أو قطن مبنية محبرة، أي مزينة بحسنة والتحبير: التحسين.

^٢ قال ابن الأعرابي وغيره: هي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من القطن. قَالَ الرَّبِيعُ: السَّخُولِيَّةُ ثِيَابٌ مِنْ مَوْضِعٍ يُسَمَّى سَخُولًا، وَهُوَ مَوْضِعٌ بِأَرْضِ الْيَمَنِ.



بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿[آل عمران: ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُزْذِقُوا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٩]، في كثيرٍ من أمثالها مِنَ الآيات، وَجَمِيعُهَا مُرْشِدٌ إِلَى مُخَالَفَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى.

وَمِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ ﷺ فِي حَدِيثٍ حَسَنٍ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^١، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ ابْنِ عُمرَ وَالطَّبْرَانِي فِي الْأَوْسَطِ عَنْ حُذَيْفَةَ.

وقوله ﷺ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ؛ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ، وَأَوْفُوا اللَّحَى»^٢، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ عُمرَ. وقوله ﷺ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ أَيْضًا: «خَالِفُوا الْيَهُودَ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ وَلَا خِفَافِهِمْ»^٣، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ، وَالبَيْهَقِيُّ فِي سَنَنِهِ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ.

فَالْأَمْرُ بِالْمُخَالَفَةِ فِي الْحَدِيثَيْنِ يُفِيدُ إِطْلَاقَ الْمَنْعِ مِنَ التَّشَبُّهِ بِهِمْ، فَإِنَّهُ وَإِنْ ذَكَرَ بَعْدَ الْأَمْرِ بِذَلِكَ حَالَةَ مَخْصُوصَةٍ مِنْ إِحْفَاءِ الشَّوَارِبِ وَتَوْفِيرِ اللَّحَى وَالصَّلَاةِ فِي النَّعَالِ، فَذِكْرُ ذَلِكَ لَا يَقْتَضِي تَقْيِيدَ الْمُخَالَفَةِ بِهِ، لِأَنَّهُ وَاقِعَةٌ حَالٌ، وَهُوَ مِنْ بَابِ ذِكْرِ بَعْضِ مُفْرَدَاتِ الْمَطْلُوقِ لِلتَّبْيِينِ لَا لِلتَّقْيِيدِ؛ لِأَنَّ الْمَذْكُورَ حَكْمٌ مُّعَلَّلٌ بِالْمُخَالَفَةِ، فَالْمُخَالَفَةُ عِلَّةٌ عَامَّةٌ، وَإِحْفَاءُ الشَّوَارِبِ وَمَا بَعْدَهُ بَعْضٌ مَّعْلُولَاتُهَا، وَيَتَأَكَّدُ ذَلِكَ بِالْأَحَادِيثِ الْآتِي ذِكْرُهَا قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

^١ مختصر سنن أبي داود، ج ٣، ص ٢٤. وأيضاً: كتاب السنن لأبي داود، ط ١، م ٢، دار التأسيس، كتاب اللباس، باب ما جاء في الأقبية، ص ٢٤٣.

^٢ صحيح مسلم، ط ١، م ٧، دار التأسيس، كتاب الطهارة، باب خمس من الفطرة، ص ٣٥. وأيضاً: صحيح البخاري، ط ١، م ٧، دار التأسيس، كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار، ص ٤٦٥، وهو عند البخاري بلفظ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا عُمرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفَرُوا اللَّحَى، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ".

^٣ كتاب السنن لأبي داود، ط ١، م ٢، دار التأسيس، كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعل، ص ٤٨٤.



والصَّلَاة في النِّعَال جائزة، لكنَّها غير النِّعَال المعروفة الآن، بل تلك نِعال كانت رَقِيقَةً جداً، لا تَفْضُل عَنِ الْقَدَم طَوَّلاً ولا عَرْضاً، لها شِرَاك تَمْسُك به في الْقَدَم، فهي لا تَمْنَع سُجُوداً ولا تَرْفَع قَدَمًا بِخِلَافِ نِعال النَّاسِ الْيَوْمَ.

وقد أنكر ابن جُرَيْج على عبد الله بن عُمَر أربعاً كان يصنعها، لم ير أصحابه يصنعونها، فقال: يا أبا عبد الرحمن! لَقَدْ رَأَيْتُكَ تَصْنَعُ أَرْبَعًا لَمْ أَر أَحَدًا يَصْنَعُهَا مِنْ أَصْحَابِكَ، قال: وما هن؟ قال: رَأَيْتُكَ لَا تَمْسُ مِنَ الْأَرْكَانِ إِلَّا الْيَمَانِيَّ، وَرَأَيْتُكَ تَلْبَسُ النِّعَالَ السَّبْتِيَّةَ، وَرَأَيْتُكَ تَصْبُغُ بِالصُّفْرَةِ، وَرَأَيْتُكَ إِذَا كُنْتَ بِمَكَّةَ، أَهَلَ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْهَلَالَ، وَلَمْ تُهْلِلْ إِلَّا يَوْمَ التَّزْوِيَةِ. قَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: أَمَّا الْأَرْكَانُ فَإِنِّي لَمْ أَر رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَمْسُ إِلَّا الْيَمَانِيَّ، وَأَمَّا النِّعَالُ السَّبْتِيَّةُ فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَلْبَسُهَا، وَأَمَّا الصُّفْرَةُ فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَصْبُغُ بِهَا، وَأَمَّا الْإِهْلَالُ فَإِنِّي لَمْ أَر رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُهْلُ حَتَّى تَتَّبِعَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ.^١

والحديث عند الزَّيْبِع في باب الإِهْلَالِ بِالْحَجِّ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ السَّائِلِ. وَالنِّعَالُ السَّبْتِيَّةُ - بِكَسْرِ السِّينِ - الْمَدْبُوعَةُ^٢، وَكَانُوا يَنْتَعِلُونَ الْجِلْدَ بِشَعْرِهِ، وَيَعْدُونَ إِزَالََةَ شَعْرِهِ مِنْ التَّنْعَمِ، فَلِذَلِكَ أَنْكَرَهُ السَّائِلُ.

وَإِذَا كَانَ مِثْلُ ابْنِ عُمَرَ يُنْكِرُ عَلَيْهِ لِبَاسُ مِثْلِ هَذَا النَّعْلِ حَتَّى ذَكَرَ حُجَّتَهُ فِي ذَلِكَ، فَمَا بَالُنَا لَا نُنْكِرُ عَلَيْكُمْ لِبَاسَ النَّصَارَى!

وَأَمَّا الْمَنْعُ التَّفْصِيلِيُّ فَهُوَ كَثِيرٌ، نَذْكُرُ مَا تيسَّرَ مِنْهُ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَنُقَدِّمُ مَا يَخْصُ اللَّبَاسَ، لِأَنَّهُ مَحَلُّ النَّزَاعِ، فَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي رِيحَانَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ وَأَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ عَشْرٍ: «الْوَشْرِ، وَالْوَشْمِ، وَالتَّنْفِ، وَكُمَامَةِ الرَّجُلِ الرَّجُلِ بِغَيْرِ شِعَارٍ، وَكُمَامَةِ الْمَرْأَةِ الْمَرْأَةِ بِغَيْرِ شِعَارٍ، وَأَنْ يَجْعَلَ الرَّجُلُ فِي أَسْفَلِ ثِيَابِهِ حَرِيرًا مِثْلَ الْأَعَاجِمِ،

^١ الجامع الصحيح، مسند الإمام الزَّيْبِع، ط ٥، مكتبة مسقط، باب في الإِهْلَالِ بِالْحَجِّ والتلبية، ص ١٧١-١٧٢.

^٢ قال الزَّيْبِع: النِّعَالُ السَّبْتِيَّةُ: الَّتِي لَا شَعْرَ لَهَا. وَقِيلَ: سَمَّيْتُ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا انْسَبَتْ بِالْدَبَاغِ، أَيْ: لَانَتْ. انظر: شرح الجامع الصحيح، السلمي، م ٢، ص ٢١٢.



وَأَنْ يَجْعَلَ عَلَى مَنْكِبَيْهِ حَرِيرًا مِثْلَ الْأَعَاجِمِ، وَعَنِ النَّهْيِ، وَرُكُوبِ التُّمُورِ، وَلَيْسَ الْحَتَّامُ إِلَّا لِذِي سُلْطَانٍ^١.

فقوله «مِثْلُ الْأَعَاجِمِ» مصرح بأنَّ النهي في ذلك لخوف التشبه بهم. والوشر - بمعجمة وراء - معالجة الأسنان بما يحددّها ويرقّ أطرافها، والوشم النقش وهو غرز الإبرة بجلده ثم يذرّ عليه بما يُخضّره أو يُسوّده، والتتف هو التتف للشيب أو للشعر عند المصيبة أو تسوية الحاجبين للترين، وهو النمص المذكور في حديث ابن عباس عند الربيع^٢، والمكامة - بالعين المهملة - المضاجعة، والشعار الحاجز بينهما، والنهي - بالضم والقصر - بمعنى التهب وهو أخذ المال بغير حقّ، والتُمُور سباع معروفة، والمراد بركوبها الركوب على جلودها، وكانت الأعاجم تصنع ذلك فنهينا عن مُشابهتهم، وقوله «وَلَيْسَ الْحَتَّامُ إِلَّا لِذِي سُلْطَانٍ»، أي لصاحب سلطة يحتاج إلى الحتم به، وفي معناه كلّ من يحتاج إليه لذلك، وقد وردت أحاديث صحيحة في جواز لبسه لكلّ أحد، فالتخصيص في حكم المنسوخ، والله أعلم.

ومن ذلك حديث عبد الله بن عمر^٣ عند أحمد ومسلم والنسائي، قال: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعْصَفَرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا»^٤. والمعصفر المصبوغ بالعصفر وهو الشوران^٥، والحديث نصّ في المطلوب.

^١ سنن النسائي، ط١، م٦، دار التأصيل، كتاب الزينة، باب التتف، ص٥٤-٥٥. وأيضا: كتاب السنن لأبي داود، ط١، م٦، دار التأصيل، كتاب اللباس، باب من كرهه، ص٢٥٧-٢٥٩.

^٢ انظر في هذا الكتاب، ص ٧٥.

^٣ الصحيح حسب ما ورد عند أحمد ومسلم والنسائي: عبد الله بن عمرو بن العاص.

^٤ مسند الإمام أحمد، ط١، م١١، مؤسسة الرسالة، مسند عبد الله بن عمرو، ص٦٢. وأيضا: صحيح مسلم، ط١، م٥، دار التأصيل، كتاب اللباس، باب النهي عن لباس الثياب المعصفرة، ص٤٤٢. وأيضا: سنن النسائي، ط١، م٨، دار التأصيل، كتاب الزينة، باب ذكر النهي عن لبس المعصفر، ص٢٢٣.

^٥ الثوب المعصفر هو المصبوغ بالعصفر - وهو نبات يصبغ صباغا أحمر - ولهذا كان غالب ما يصبغ بالعصفر يكون أحمر، كما قال الحافظ ابن حجر، وهو نبت معروف يسمّيه أهل عُمان الشوران.



ومن ذلك حديث أبي أمامة، قال: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَسَرَّوْنَ وَلَا يَأْتِرُونَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَسَرَّوْا وَاتَّرِزُوا، وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ»^١، رواه أحمد والطبراني.

ومن ذلك حديث زكَّانة عند أبي داود والترمذي أَنَّهُ ﷺ قال: «فَرَّقْ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ الْعَمَائِمَ عَلَى الْقَلَانِسِ»^٢، وفي لفظ البارودي «الْعِمَامَةُ عَلَى الْقَلَنْسُوَةِ فَصْلٌ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، يُعْطَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِكُلِّ كُورَةٍ يُدَوِّرُهَا عَلَى رَأْسِهِ نُورًا». ”وَالْقَلَنْسُوَةُ بَفَتْحِ الْقَافِ وَسُكُونِ النُّونِ وَضَمِّ الْمَهْمَلَةِ وَفَتْحِ الْوَائِ، وَقَدْ تُبَدَّلُ بِإِاءٍ مُثْنَاةٍ مِنْ تَحْتِ، وَقَدْ تُبَدَّلُ أَلْفًا فَتُفْتَحُ السِّينُ، فَيَقَالُ: قَلَنْسَاةٌ، غِشَاءٌ مُبَطَّنٌ يُسْتَرُّ بِهِ الرَّأْسُ“^٣. والمعنى أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يَلْبَسُونَ الْقَلَانِسَ بِإِاءٍ عَمَائِمَ، وَالْمُسْلِمُونَ يَلْبَسُونَ عَلَيْهَا الْعَمَائِمَ، فَكَانَ ذَلِكَ فَرْقًا مَطْلُوبًا، وَأَمْرًا مَحْبُوبًا.

ومن ذلك قوله ﷺ في حديث ابن عباس عند الديلمي في (مُسْنَدِ الْفَرْدُوسِ): «الْعَمَائِمُ تَيَجَانُ الْعَرَبِ، فَإِذَا وَضَعُوا الْعَمَائِمَ وَضَعَ اللَّهُ عِزَّهُمْ»، وفي حديث علي عند القاضي والديلمي: «الْعَمَائِمُ تَيَجَانُ الْعَرَبِ، وَالْإِخْتِبَاءُ حِيطَاتُهَا، وَجُلُوسُ الْمُؤْمِنِ فِي الْمَسْجِدِ رِبَاطَةٌ»^٤.

^١ مسند الإمام أحمد، ط ١، م ٣٦، مؤسسة الرسالة، مسند الأنصار - حديث أبي أمامة الباهلي عن النبي ﷺ، ص ٦١٣.

^٢ كتاب السنن لأبي داود، ط ١، م ٦، دار التأصيل، كتاب اللباس، باب في العمام، ص ٢٧٩-٢٨٠. وأيضاً: كتاب سنن الترمذي، ط ٢، م ٣، دار التأصيل، أبواب اللباس عن رسول الله ﷺ، باب: العمام على القلانس ص ٨٤.

^٣ انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، ج ٢، كتاب الصلاة، باب السجود على الثوب في شدة الحر، ص ٢٧٢. جاء: ”وَالْقَلَنْسُوَةُ بَفَتْحِ الْقَافِ وَاللَّامِ وَسُكُونِ النُّونِ وَضَمِّ الْمَهْمَلَةِ وَفَتْحِ الْوَائِ، وَقَدْ تُبَدَّلُ بِإِاءٍ مُثْنَاةٍ مِنْ تَحْتِ، وَقَدْ تُبَدَّلُ أَلْفًا وَتُفْتَحُ السِّينُ فَيَقَالُ: قَلَنْسَاةٌ، وَقَدْ تُحَدَفُ النُّونُ مِنْ هَذِهِ وَبَعْدَهَا هَاءٌ تَأْنِيثٌ: غِشَاءٌ مُبَطَّنٌ يُسْتَرُّ بِهِ الرَّأْسُ، قَالَ الْقَزَّازُ فِي (شرح الفصيح)“.

^٤ مسند الفردوس، الديلمي، ج ٣، رقم ٤٢٤٦، ص ٨٧-٨٨.



ومن ذلك ما رواه الأربعة^١ وأحمد والحاكم عن أبي هريرة «أنه ﷺ نَهَى عَنِ السَّدْلِ فِي الصَّلَاةِ، وَأَنْ يُعْطِيَ الرَّجُلُ فَاهُ»^٢.

قال في (النهاية): "السَّدْلُ أَنْ يَلْتَحِفَ بِثَوْبِهِ، وَيُدْخِلَ يَدَيْهِ مِنْ دَاخِلِهِ فَيَرْكَعُ وَيَسْجُدُ وَهُوَ كَذَلِكَ". قال: "وكانت اليهود تفعله فنهوا عنه"^٣.

هذا ما حَضَرَنِي ذِكْرُهُ فِي الْمَقَامِ مِنْ طَلَبِ مُخَالَفَتِهِمْ فِي اللَّبَاسِ.

وأما طلبها في غيره فكثير، مِنْهَا مَا ذَكَرَهُ الْقُطُبُ^٤ فِي (شَرْحِ الْعَقِيدَةِ)^٥، قَالَ: "رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَتَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى أَحَدٍ فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ». وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْهُ ﷺ: «إِذَا كَتَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى إِنْسَانٍ فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ، وَإِذَا كَتَبَ فَلْيَتَرَبَّ كِتَابَهُ فَهُوَ أَنْجَحُ»، وَذَكَرُوا أَنَّ الْأَعَاجِمَ تَبْدَأُ بِاسْمِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ.

قال أبو الليث: كَانَ رَسْمُ الْمُتَقَدِّمِينَ أَنَّ الْكَاتِبَ يَبْدَأُ بِنَفْسِهِ مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ، وَبِذَلِكَ جَاءَتِ الْأَثَارُ. وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عُثْمَرَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى الْخَلِيفَةِ بَدَأَ بِنَفْسِهِ، وَكَانَ عُثْمَرُ يَكْتُبُ إِلَى عَمَّالِهِ أَنْ: اِبْدَأُوا بِأَنْفُسِكُمْ^٦.

وَرَوَى وَكِيعٌ عَنْ أَبِي دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ سِيرِينَ أَنَّهُ أَرَادَ سَفَرًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُحَمَّدَ بْنِ سِيرِينَ: إِذَا كَتَبْتَ إِلَيَّ كِتَابًا فَاِبْدَأْ بِنَفْسِكَ، فَإِنَّكَ إِنْ بَدَأْتَ بِي لَمْ أَقْرَأْ لَكَ كِتَابًا. وَعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنْسَ: مَا كَانَ أَحَدٌ أَعْظَمَ حُرْمَةً مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ إِذَا

^١ المعروف أن المراد بالأربعة هم أصحاب السنن الأربعة، وهم: النسائي، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه. إلا أن الحديث لم أجده عند النسائي، ووجدته عند الدارمي في سننه، والله أعلم.

^٢ كتاب السنن لأبي داود، ط ١، م ٢، دار التأسيس، كتاب الصلاة، باب السدل في الصلاة، ص ٤٧٧-٤٧٨.

^٣ انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، المكتبة الإسلامية، ج ٢، باب السين مع الدال، ص ٣٥٥.

^٤ يقول الشيخ سلطان الشيباني: "نَبَّهَ الْمُؤَلِّفُ فِي فَاتِحَةِ كِتَابِهِ (مَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ) إِلَى أَنَّهُ مَهْمَا أَطْلَقَ لَفْظَ (الْقُطْبُ) أَوْ (قُطْبُ الْأُمَّةِ) فَمُرَادُهُ بِهِ: الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ أَطْفُيْشَ (ت ١٣٣٢ هـ)، وَعَلَى هَذَا الْإِصْطِلَاحِ جَزَى فِي سَائِرِ تَصَانِيفِهِ".

^٥ كتاب شرح عقيدة التوحيد، قطب الأئمة.

^٦ انظر: السنن الكبرى، البيهقي، دار الكتب العلمية، كتاب الصلاة، باب من استحَبَّ أَوْ أَبَاحَ التَّسْمِيَةَ قَبْلَ التَّحِيَةِ، ج ٢، رقم ٢٨٣١، ص ٢٠٣.



كتبوا إليه بدأوا بأنفسهم. قال ابن سيرين: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ فَارِسٍ إِذَا كَتَبُوا
بَدَأُوا بِعُظْمَائِهِمْ وَكُتُبَائِهِمْ، فَلَا يَبْدَأُ الرَّجُلُ إِلَّا بِنَفْسِهِ»^١.
ومنها ما روى البيهقي في السنن عن جابر يرفعه: «لَا تُسَلِّمُوا تَسْلِيمَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى
فَإِنَّ تَسْلِيمَهُمْ إِشَارَةٌ بِالْكَفُوفِ وَالْحَوَاجِبِ»^٢، فهذا يدل أَنَّ التَّحِيَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ خِلَافَ
مَا هُمْ عَلَيْهِ، فَهُوَ نَهْيٌ عَنِ التَّشْبِهِ بِهِمْ فِي الْحَرَكَاتِ، وَمَنْ سَلَّمَ تَسْلِيمَهُمْ لَا يُرَدُّ عَلَيْهِ.
ومنها ما أخرجه الحاكم في مستدركه، والبيهقي في السنن من حديث ابن عمر: نَهَى
النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَجْلِسَ الرَّجُلُ فِي الصَّلَاةِ وَهُوَ مُعْتَمِدٌ عَلَى يَدِهِ الْيُسْرَى، وَقَالَ: «إِنَّهَا صَلَاةُ
الْيَهُودِ»^٣.

ومنها ما رواه أحمد وأبو داود والنسائي عن معاوية قال: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ رُكُوبِ
النَّمَارِ^٤. «وَفِي رِوَايَةٍ: (النَّمُورُ)، وَكِلَاهُمَا جَمْعٌ نَرٍ بَفَتْحِ التَّوْنِ وَكَسْرِ الْمِيمِ، وَيجوز التَّخْفِيفُ
بِكَسْرِ التَّوْنِ وَشُكُونِ الْمِيمِ، وَهُوَ سَبْعٌ أَخْبَثٌ وَأَجْرَأُ مِنَ الْأَسَدِ، وَهُوَ مُنْقَطُ الْجِلْدِ نَقَطَ
سُودَ، وَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ الْأَسَدِ، إِلَّا أَنَّهُ أَصْغَرُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا نُحْيِي عَنْ اسْتِعْمَالِ جُلُودِهِ لِمَا فِيهَا
مِنَ الْخِلَاءِ، وَلِأَنَّهُ زِيُّ الْعَجَمِ، وَعُمُومُ النَّهْيِ شَامِلٌ لِلْمُذَكِّ وَغَيْرِهِ»^٥.
ومنها ما أخرجه أبو يعلى الموصلي من حديث أبي هريرة قال: دَخَلْتُ السُّوقَ يَوْمًا مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ إِلَى الْبَرَّازِ، فَاشْتَرَى مِنْهُ سَرَاوِيلَ بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ، وَكَانَ لِأَهْلِ السُّوقِ
وَزَانٌ يَزِينُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَرُنُّ رَاجِحًا؟» قَالَ الْوَزَانُ: إِنَّ هَذِهِ كَلِمَةٌ مَا
سَمِعْتُهَا مِنْ أَحَدٍ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ لَهُ: كَفَى بِكَ مِنَ الْجَفَاءِ فِي دِينِكَ أَنْ لَا تَعْرِفَ
نَبِيَّكَ، فَطَرَحَ الْمِيزَانَ وَوَثَبَ إِلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يَقْبِلَهَا، فَجَذَبَ يَدَهُ رَسُولُ

^١ انظر: كتاب شرح عقيدة التوحيد، قطب الأئمة، في كتابة اسم المرسل أول الرسالة، ص ٨٣-٨٤.

^٢ الجامع لشعب الإيمان، البيهقي، ج ١١، فصل في السلام على أهل الذمة، رقم ٨٥٢٠، ص ٢٦٤.

^٣ السنن الكبرى، البيهقي، ج ٢، دار الكتب العلمية، كتاب الصلاة، باب الاعتماد بيديه على الأرض...، رقم ٢٨١٠، ص ١٩٥.

^٤ مسند الإمام أحمد، ط ١، ٢٨م، مؤسسة الرسالة، مسند الشاميين - حديث معاوية بن أبي سفيان، ص ٥٩.
وأيضا: كتاب السنن لأبي داود، ط ١، ٦م، دار التأسيس، كتاب الخاتم، باب ما جاء في الذهب للنساء، ص ٤٠٥.

^٥ انظر: نيل الأوطار، الشوكاني، ج ٣، أبواب اللباس، باب إباحة يسير ذلك كالعلم والرُّقعة، ص ٣٦٣.



الله ﷺ، وقال له: «يا هذا إنما تفعل هذا الأعاجم بملوكها، ولست بمليك، إنما أنا رجلٌ منكم». فأخذ فوزن وأرجح، وأخذ رسول الله ﷺ السراويل.^١

ومنها ما رواه أبو داود من حديث جابر قال: ركب رسول الله ﷺ فرساً بالمدينة، فصّره على جذم نخلة، فانفكت قدمه، فأتيناه نعوذه، فوجدناه في مشربة لعائشة يسبح جالساً. قال: فقمنا خلفه، فسكت عنا، ثم أتينا مرة أخرى نعوذه، فصلّى المكتوبة جالساً، فقمنا خلفه، فأشار إلينا فقمنا. فلما قضى الصلاة قال: «إذا صلى الإمام جالساً فصلوا جلوساً، وإذا صلى الإمام قائماً فصلوا قياماً، ولا تفعلوا كما يفعل أهل فارس بعظمائها».^٢

ومنها ما أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والبخاري من حديث عبادة بن الصّامت أن يهودياً قال لما كان النبي ﷺ يقوم للجنّازة: هكذا نفعل، فقال النبي ﷺ: «اجلسوا وحال قلوبهم».^٣

ومنها ما أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر؛ لأنّ اليهود والنصارى يؤخّرون».^٤ ومنها ما أخرجه الجماعة^٥ إلا البخاري وابن ماجه عن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ فضل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب: أكله السحر».^٦

ومنها ما رواه أحمد والبخاري ومسلم عن أبي موسى، قال: كان يوم عاشوراء تُعظمه اليهود، وتتخذُه عيداً، فقال رسول الله ﷺ: «صوموه أنتم».^٧ وروى مسلم وأبو داود

^١ مسند أبي يعلى الموصلي، ج ١١، مسند أبي هريرة، رقم ٦١٦٢، ص ٢٣-٢٥.

^٢ كتاب السنن لأبي داود، ط ١، م ٢، دار التأصيل، كتاب الصلاة، باب الإمام يصلي من قعود، ص ٤٥١.

^٣ سنن ابن ماجه، م ٢، أبواب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في القيام للجنّاز، رقم ١٥٢٧، ص ١٧٩.

^٤ كتاب السنن لأبي داود، ط ١، م ٤، دار التأصيل، كتاب الصيام، باب ما يستحب من تعجيل الفطر، ص ٢٨٢.

وأيضاً: سنن ابن ماجه، ط ١، م ٢، دار التأصيل، كتاب الصيام، باب ما جاء في تعجيل الإفطار، ص ٢٢٧.

^٥ المراد بالجماعة هم: البخاري ومسلم وأحمد وأصحاب السنن الأربعة أي: أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

^٦ كتاب السنن لأبي داود، ط ١، م ٤، دار التأصيل، كتاب الصيام، باب في توكيد السحور، ص ٢٧٥.

^٧ صحيح مسلم، دار طيبة، ط ١، كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، ص ٥٠٤.



عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا صَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ يَوْمٌ تُعْظِمُهُ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى، فَقَالَ: «إِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ». قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُؤَيِّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^١. وفي رواية عند أحمد قال رسول الله ﷺ: «صُومُوا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَخَالِفُوا الْيَهُودَ، صُومُوا قَبْلَهُ يَوْمًا، أَوْ بَعْدَهُ يَوْمًا»^٢.

ومنها قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٤]. "وكان ﷺ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ الْكَعْبَةُ، سَيِّمًا لِمَا بَلَغَهُ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا: يُخَالِفُنَا مُحَمَّدٌ وَيَتَّبِعُ قِبْلَتَنَا. وفي لَفْظٍ قَالُوا لِلْمُسْلِمِينَ: لَوْ لَمْ نَكُنْ عَلَى هُدًى مَا صَلَّيْتُمْ لِقِبْلَتِنَا فَافْتَدَيْتُمْ بِنَا فِيهَا. وفي لَفْظٍ: كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ مَحَبَّةً لِمُوَافَقَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ - عليهما الصَّلَاةُ وَالسَّلَام -، وَكَرَاهَةً لِمُوَافَقَةِ الْيَهُودَ، وَلِقَوْلِ كُفَّارِ فُرَيْشٍ لِلْمُسْلِمِينَ: لَمْ تَقُولُوا نَحْنُ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ، وَأَنْتُمْ تَتْرَكُونَ قِبْلَتَهُ وَتُصَلُّونَ إِلَى قِبْلَةِ الْيَهُودِ؟"^٣.

ومنها مَا وَقَعَ فِي السَّيْرِ عِنْدَ ابْتِدَاءِ الْأَذَانِ، أَنَّهُ ﷺ ائْتَمَرَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ كَيْفَ يَجْمَعُ النَّاسَ لِلصَّلَاةِ، فَقِيلَ لَهُ: انْصَبْ رَأْيَةً عِنْدَ حُضُورِ الصَّلَاةِ، فَإِذَا رَأَاهَا النَّاسُ أَعْلَمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ. فَذَكَرَ لَهُ بَوَيْهُ يَهُودَ، وَهُوَ الْقَرْنُ الَّذِي يَدْعُونَ بِهِ لَصَلَاتِهِمْ فَيَجْتَمِعُونَ لَهَا عِنْدَ سَمَاعِ صَوْتِهِ، فَكَرِهَهُ ﷺ وَقَالَ: «هُوَ مِنْ أَمْرِ الْيَهُودِ»، فَذَكَرَ لَهُ النَّاقُوسُ، الَّذِي يَدْعُونَ بِهِ النَّصَارَى لَصَلَاتِهِمْ، فَقَالَ: «هُوَ مِنْ أَمْرِ النَّصَارَى»، فَقَالُوا: لَوْ رَفَعْنَا نَارًا فَإِذَا رَأَاهَا النَّاسُ أَقْبَلُوا إِلَى الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «ذَلِكَ لِلْمَجُوسِ». وَقَالَ عُمَرُ: تَبْعَتُونَ رَجُلًا يُنَادِي بِالصَّلَاةِ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، وَكَانَ الْمُنَادِي هُوَ بِلَالٌ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ -، وَكَانَ اللَّفْظُ الَّذِي يُنَادِي بِهِ بِلَالٌ (الصَّلَاةُ جَامِعَةً)، كَمَا رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ وَسَعِيدٌ

^١ صحيح مسلم، دار طيبة، ط ١، كتاب الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء، ص ٥٠٥.

^٢ مسند الإمام أحمد، ط ١، م ٤، مؤسسة الرسالة، مسند بني هاشم - مسند عبد الله بن عباس، ص ٥٢.

^٣ انظر: السيرة الحلبية، نور الدين الحلبي، ج ٢، باب تحويل القبلة، ص ١٧٨.



بن منصور عن سعيد بن المسيب مرسلاً، وذلك قَبْلَ رُؤْيَا عَبْدِ اللَّهِ بن زَيْدِ الأنصاري صِفَةَ الأَذَانِ، فَلَمَّا رَأَاهَا وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِهَا، قَالَ ﷺ: «إِنَّمَا رُؤْيَا حَقٌّ فَلَقْنَاهَا بِإِلَلا فَهُوَ أُنْدَى مِنْكَ صَوْتًا». فاستقر الأذان من يومئذ.^١

ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وذلك أنما نزلت بخلاف أمر اليهود والنصارى في أمر الحيض. أخرج غير واحد عن أنس أن اليهود كانت إذا حاضت المرأة منهم أخرجوها من البيت، ولم يؤاكلوها ولم يُشاربوها، ولم يُجامعوها في البيوت، فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] الآية، فقال رسول الله ﷺ: «جامعوهن في البيوت، واصنعوا كل شيء إلا النكاح». فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه. فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول الله، إن اليهود قالت كذا وكذا، أفلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما. فخرجا، فاستقبلتهما هديئة من لبن إلى رسول الله ﷺ فسقاهما، فعرفا أنه لم يجد عليهما.

وفي رواية: أن اليهود والمجوس كانوا يُبالغون في التباعدي عن المرأة حال حيضها، والنصارى كانوا يُجامعون ولا يُبالون بالحيض، وأن أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها، ولم يُشاربوها، ولم يُجالسوها على فراش، ولم يُساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس. فلما نزلت هذه الآية أخذ المسلمون بظاهر الآية فأخرجوهن من بيوتهن، فقال ناس من الأعراب: البرد شديد، والتياب قليلة، فإن أثرناهن بالتياب هلك سائر أهل البيت،

^١ انظر: السيرة الحلبية، نور الدين الحلبي، ج ٢، باب بدء الأذان ومشروعاته، ص ١٣٠. وأيضاً: معارج الآمال، نور الدين السالمي، ج ٣، في سبب ابتداء الأذان، ص ٤١١. وأيضاً: الجامع الصغير، العلامة محمد بن يوسف أطفيش، ج ٢، ص ٥٥. وأيضاً: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج ٢، كتاب الأذان، باب بدء الأذان، رقم ٦٠٤، ص ٧٧.



وإن استأثرناها هلك الحَيِّضُ. فقال عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «إِنَّمَا أُمَرْتُكُمْ أَنْ تَعْتَرِلُوا مُجَامَعَتَهُنَّ إِذَا حِضْنَ، وَلَمْ أُمَرُّكُمْ بِإِخْرَاجِهِنَّ مِنَ الْبُيُوتِ كَفِعْلِ الْأَعَاجِمِ»، فَلَمَّا سَمِعَ الْيَهُودُ ذَلِكَ قَالُوا: هَذَا الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ لَا يَدَعَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِنَا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ. ثُمَّ جَاءَ عَبْدُ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَاهُ بِذَلِكَ وَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَنْكِحُهُنَّ فِي الْمَحِيضِ؟ فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ غَضِبَ عَلَيْهِمَا، فَقَامَا، فَجَاءَتْهُ هَدِيَّةٌ مِنْ لَبَنٍ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمَا فَسَقَاهُمَا، فَعَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ يَغْضَبْ عَلَيْهِمَا.^١

ففي الأمرِ بِمُخَالَطَتِهِنَّ فِي الْبُيُوتِ مُخَالَفَةٌ لِلْيَهُودِ وَالْمَجُوسِ، وَفِي الْأَمْرِ بِاعْتِرَالِ مُجَامَعَتِهِنَّ مُخَالَفَةٌ لِلنَّصَارَى، فَكَانَ هَذَا الْأَمْرُ وَسَطًا بَيْنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، وَهُوَ سَبِيلُ الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ، وَالشَّرِيعَةِ الْمَحْمَدِيَّةِ، وَإِنَّمَا قَالَ الرَّجُلَانِ: "أَفَلَا نَنْكِحُهُنَّ فِي الْمَحِيضِ؟" طَلَبًا مِنْهُمَا لَا اسْتِقْصَاءً مُخَالَفَةً لِلْيَهُودِ حِينَ رَأَوْا أَنَّ ذَلِكَ يَغِيظُهُمْ، وَذَهَلُوا أَنَّ فِيهِ مُوَافَقَةً لِلنَّصَارَى، وَكَانَ الْمَطْلُوبُ مُخَالَفَةُ الْفَرِيقَيْنِ.

ومنها قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَلَيَّ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، فَإِنَّمَا نَزَلَتْ بِخِلَافِ أَمْرِ الْيَهُودِ فِي إِيْتَانِ نِسَائِهِمْ. أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: إِنَّمَا كَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُمْ أَهْلٌ وَتَنَّى مَعَ هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْيَهُودِ وَهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، كَانُوا يَرَوْنَ هُمْ فَضْلًا عَلَيْهِمْ فِي الْعِلْمِ، فَكَانُوا يَقْتَدُونَ بِكَثِيرٍ مِنْ فِعْلِهِمْ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ لَا يَأْتُونَ النِّسَاءَ إِلَّا عَلَى حَرْفٍ، وَذَلِكَ أَسْتَرُّ مَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ، وَكَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ أَخَذُوا بِذَلِكَ، وَكَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ يَشْرَحُونَ النِّسَاءَ شَرْحًا، وَيَتَلَدَّدُونَ مِنْهُنَّ مُقْبِلَاتٍ وَمُذْبِرَاتٍ وَمُسْتَلْقِيَاتٍ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ تَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنْهُمْ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَذَهَبَ يَصْنَعُ بِهَا ذَلِكَ،

^١ انظر: كتاب الجامع الصغير، العلامة محمد بن يوسف أطفيش، ج ١، ص ٢٢٩. وأيضاً: معارج الآمال، الإمام نور الدين السالمي، ج ٢، ص ٢٠٤-٢٠٥. وأيضاً: تفسير الكشاف، الزمخشري، دار المعرفة، سورة البقرة، ص ١٢٩.



فَأَنْكَرْتُهُ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ: إِنَّمَا كُنَّا نُؤْتَى عَلَى حَرْفٍ. فَسَرَى أَمْرُهُمَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَيْ شَتُّهُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، أَيْ مُقْبِلَاتٍ وَمُذْبِرَاتٍ وَمُسْتَلْقِيَاتٍ، يَعْنِي بِذَلِكَ مَوْضِعَ الْوَلَدِ.^١

ومنها قوله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَارِبِهِ، فَلَيْسَ مِنَّا»^٢، رواه أحمد والنسائي والترمذي عن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، قال الترمذي: حَدِيثٌ صَحِيحٌ. وروى أحمد ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «جُزُوا الشَّوَارِبَ، وَأَرْحُوا اللَّحَى، خَالِفُوا الْجُوسَ».^٣ وروى أحمد والبخاري ومسلم عن ابن عُمر: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفَرُّوا اللَّحَى، وَأَخْفُوا الشَّوَارِبَ».^٤

وروى ابن عَسَاكَرٍ عَنْ عُمَرَ: «خَلَقَ الْقَفَا مِنْ غَيْرِ حِجَامَةٍ مُجُوسِيَّةٍ»، أَيْ خِصْلَةٍ مِنْ خِصَالِ الْجُوسِ، فَحَالِقٌ قَفَاهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُرِيدَ الْحِجَامَةَ مُتَشَبِّهَةً بِالْجُوسِ.

وقال أَنَسٌ: سَدَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَاصِيَتَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْدُلَ، ثُمَّ فَرَّقَ بَعْدَ ذَلِكَ.^٥ وَقِيلَ: إِنَّهُ إِنَّمَا فَرَّقَ لِمُخَالَفَةِ الْيَهُودِ حِينَ كَانُوا يَسْدِلُونَ.

ومنها مَا أَخْرَجَهُ الْجَمَاعَةُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ»، والمراد بِذَلِكَ تَغْيِيرَ شِدَّةِ بَيَاضِ الشَّيْبِ بِصُفْرَةٍ وَنَحْوِهَا، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ [عِنْدَ الرَّبِيعِ]^٦ وَغَيْرِهِ.

^١ كتاب السنن لأبي داود، ط ١، م ٤، دار التأصيل، كتاب النكاح، باب في جامع النكاح، ص ١٦٩-١٧٠.

^٢ مسند الإمام أحمد، ط ١، م ٣٢، مؤسسة الرسالة، أول مسند الكوفيين - حديث زيد بن أرقم، ص ٧.

^٣ صحيح مسلم، دار طيبة، ط ١، كتاب الطهارة، باب أي خصال الفطرة، ص ١٣٤.

^٤ انظر في هذا الكتاب، ص ٥٢.

^٥ مسند الإمام أحمد، ط ١، م ٢٠، مؤسسة الرسالة، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، ص ٤٥٧.

^٦ إضافة من (ب) و(هـ)، وهنا يشير الإمام - رحمه الله - إلى حديث ابن عمر المذكور ص ٥٢، حين قال: "وَأَمَّا الصُّفْرَةُ فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَصْبُغُ بِهَا". والموضوع فيه حديث طويل، فصل فيه الإمام السلمي في شرح الجامع، انظر: م ٢، ص ٢١٣. وأيضاً: معارج الآمال، كتاب الطهارات، ج ١، ص ٨١٩-٨٢١.

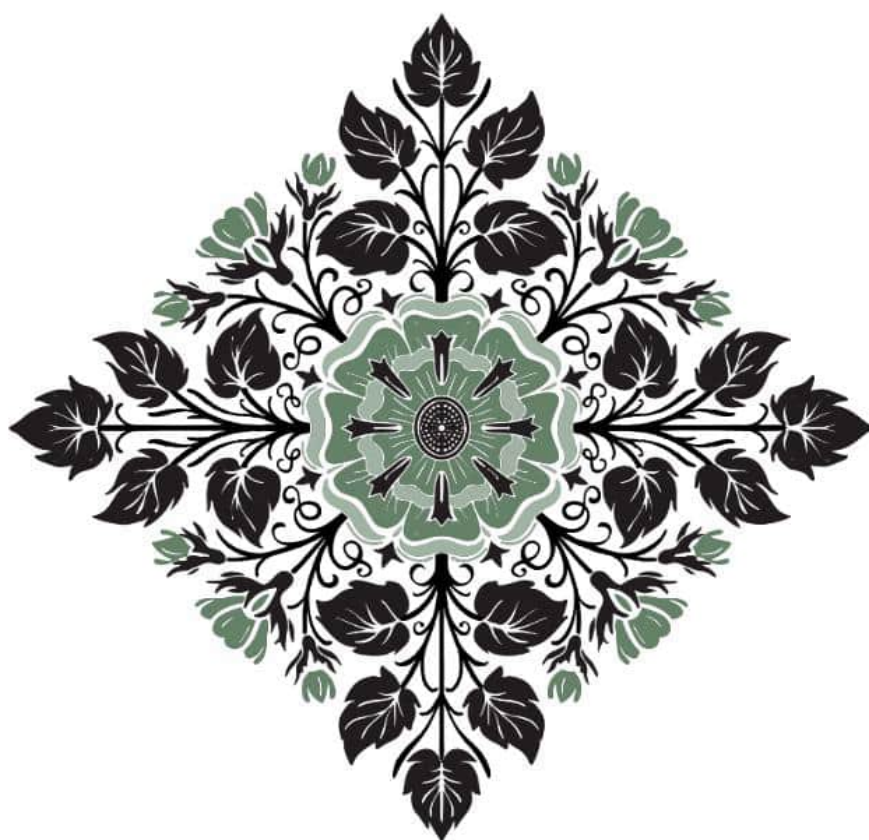


هذا ما تيسر ذكره من مَراشِدِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ إلى مُخالِفَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ وَخَوَهِمِ مِنْ جَمِيعِ مَنْ خَالَفَ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ وَشَرِيعَةَ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - ، فَتَحَنُّ الْآخَرُونَ فِي الزَّمَانِ، الْأَوَّلُونَ فِي الْفَضْلِ وَالْمَنْزِلَةِ عِنْدَ الرَّبِّ، فَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِمَنْ هُوَ دُونَهُ فِي الرُّتْبَةِ، وَكَفَى بِالْإِسْلَامِ شَرَفًا وَمَحْمَدٌ ﷺ نَبِيًّا، وَبِصَحْبِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - سَلَفًا.

وَمِمَّا زَادَنِي شَرَفًا وَتِيهًا وَكَدْتُ بِأَحْمَصِي أَطَا الشَّرَِّا
دَخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي وَأَنْ صَيَّرْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا^١

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠١].

^١ البيتان للقاضي عياض السبتي المغربي.





الفصل الثالث في تعلُّم اللُّغة الأجنبيَّة

وكنْتُ قد هَيَّيْتهم عن ذلك إِلا لِقَدْر الضَّرورة كَمُتَرَجِمٍ لِلْمَلِكِ ونَحْوِه؛ مَخَافَةَ أَن يَجْرَهُم ذلك إِلى إِهْمَالِ العَرَبِيَّةِ رَأْسًا، وَإِلى انْطِمَاسِ رُسُومِهَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، فَيَصِيرُ العَرَبِيُّ أَعْجَمِيًّا كَمَا هُوَ المَشَاهِدُ مِن أَحْوالِ المَخالِطينِ لِلأعْاجِمِ، وَيَتَرَكُ العَرَبِيَّةَ يَتَعَذَّرُ فَهْمُ الكِتَابِ والسُّنَّةِ، فَيَنْسُدُّ عَلَيْهِمُ بابُ الفَهْمِ في ذلك، وَيُحَالُ بَيْنَهُم وَبَيْنَ شَرِيعَتِهِمُ المَطْهُرَةِ، وَأَبْوَ إِلا التَّمَادِي في تَعَلُّمِهَا مَن احتَاجَ إِليها، وَمَن لَمْ يَحْتَجْ، حَتَّى اسْتَلْذُوا ذلك، وَطَبَّعُوا عَلَيْهِ أَلَسْنَتَهُمْ، وَانْطَبَعَ في قُلُوبِهِمْ، وَوَقَّعُوا في المَحْذُورِ، وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ.^١

قال المَعْتَرِضُ المِجَادِلُ: وَأَمَّا تَعْلِيمُ اللُّغة الأجنبيَّةِ أَوْ تَعَلُّمُهَا فَأَيُّ شَرِيعَةٍ تَمْنَعُ ذلك، إِذا كانَ القَصْدُ نَفْسَ اللُّغة أَوْ الكِتابة، إِذِ الضَّرورة دَاعِيَةٌ إِليهما الآنَ، وَلا سِيَّما بِهذا الطَّرْفِ؛ لِأَنَّ المَحاکِمَ والمَعشَرَاتِ^٢ بِأَيْدِيهِمْ، وَلا يُتَوَصَّلُ إِلى شَيْءٍ مِن هَذِهِ الأَشْيَاءِ إِلى ما يَطْلُبُهُ الإنسانُ مِن حُقُوقِهِ إِلا بَعْدَ النِّصَبِ، وَذَهَابِ شَطْرِ مالِهِ إِذا كانَ لا يَعْرِفُ هَذِهِ اللُّغة الأجنبيَّةَ، أَوَّلَيْسَ كانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَرَجِّمًا يَهُودِيًّا بِالْعِبْرَانِيَّةِ، ثُمَّ اخْتَارَ أَشْخاصًا مِن رِجالِهِ لِيَتَعَلَّمُوا تلكَ اللُّغة، فَلَمَّا ضَبَطُوهَا أَكْتَفَى بِهِمْ، أَمَّا في هَذَا الأَمْرِ

^١ ”ولا يخفى على ذي بصيرة ما للغة من أهمية قصوى في حياة الأمم، فهي وعاء الفكر، ووسيلة التفاهم، وبها ترتبط الشعوب وتتحد، وقد أدرك ذلك المستعمر، فحيثما نزل نشر لغته، وجعلها لغة الثقافة والحضارة والعلم، وفرضها على الشعوب التي يستعبدوها، وسعى إلى تقليص ما عداها من اللغات والتزهيد فيها، لأنه يجعل لغته الجسر الذي يعبر عليه فكره، والوثيقة التي يذيب فيها هوية الأمم والشعوب في هويته، حتى تنسى ماضيها، وتتخلى عن تراثها، وتزهّد في كل ما عندها من المميزات“. انظر: كتاب صيحة إنذار وصرخة استنفار، سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي.

^٢ المَعشَرَات: الجماعات.



ما يدلُّ على الجوازِ إِنْ لم نَقُلْ بِوجوبِ تَعْلِيمِ هذه اللُّغة، فحينئذٍ على ماذا التَّزاع والتَّشديد في غير مقام؟ وأمَّا ما يتوهمه البعض مِنَّا مِنْ أَنَّهُ سَيَنْجَرُ بِهِ التَّعْلِيمُ لها إلى الشَّرْكِ بالله، فهذه أوهام لا طائِلَ تَحْتَهَا، أَوَلَيْسَ الشَّمَاخِي سَعِيد بن قاسم والسَّيِّد مُصطَفَى وأضرابهما عالِمين بِلُغَةِ الإنجليزِ وفَرَنسا وهما أَجَلُ الأصحاب؟

وجوابه: إِنَّ هذا التَّشديدَ لِسَلَامَةِ دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ وَحِفْظِ شَرَفِكُمْ وَشَرَفِ آبَائِكُمْ وَصِيَانَةِ لِسَانِكُمْ - الذي هُوَ أَشْرَفُ الأَلْسِنَةِ - عَنِ الدَّهَابِ، وَبَدَهِابِهِ يُحَالُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ فَهْمِ ما جاء به نَبِيِّكُمْ - عليه الصَّلَاةُ والسَّلَام -، وَكَفَى بهذا مُصِيبَةً لِمَنْ عَقَلَ.^٢

أَيْنَ العُقُولُ معشر الرِّجالِ وَقَدْ اسْتَشْنَيْتُ قَدْرَ الضَّرورة، فالمنع واقع على ما فوقها، وهو الذي يَفْتَضِيهِ اسْتِدْلالُكم بالبطل لو صَحَّ في قولكم: ”أَوَلَيْسَ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَرَجِّمًا يَهُودِيًّا بِالْعِبْرَانِيَّةِ... إلخ“. وهو كَلَامٌ باطلٌ مِنْ أَصله، ولا نَعْرِفُ مَنْ ذَكَرَهُ قَبْلَ كَلَامِكُمْ هذا.^٣ والموجود أَنَّ زَيْدَ بن ثابت كان يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الوحي وغيره، وكانت تَرُدُّ على رسولِ اللَّهِ ﷺ كُتُبٌ بالسريانية، فَأَمَرَ زَيْدًا فَتَعَلَّمَهَا كَذَا في (أَسَدِ الغابة).^٤ وقال في (السِّيَرَةِ الحَلَبِيَّةِ): قال زَيْدُ بن ثابت: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ

^١ في (ب) و (هـ): ”عن“، وفي بقية النسخ: ”من“. إلا أن ما أثبت في المتن هو الأقرب لأسلوب المؤلف وطريقته نظرا لورودها في مؤلفاته، والله أعلم.

^٢ قال الأديب مصطفى صادق الرافعي: ”ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار، ومن هذا يفرض المستعمر لغته فرضا على الأمة المستعمرة“.

^٣ ”وضحايا الاستبداد الثقافي“ يميلون للتفهم الشرعي قدر الإمكان لثقافة الغرب الغالب في السياسة والاجتماع والحكم، ويبحثون في النصوص الشرعية أو التراث الإسلامي لتبرير وتسويغ مفاهيم الثقافة الغربية الغالبة، حتى لو كان بنوع من التطويع“. انظر: سلطة الثقافة الغالبة، إبراهيم السكران، ط١، مركز تفكير للبحوث والدراسات، ص٢٨.

^٤ كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، دار ابن حزم، ط١، رقم ١٨٢٤، ص٤٢٤. جاء: وكان زيد يكتب لرسول الله ﷺ الوحي وغيره، وكانت ترد على رسول الله ﷺ كتب بالسريانية فأمر زيدًا فتعلمها، وكتب بعد النبي ﷺ لأبي بكر، وعمر، وكتب لهما معه مُعْتَقِبُ الدوسي أيضًا.



بالسريانية، قال: «إِنِّي لَا آمَنُ يَهُودٌ عَلَى كِتَابِي»، فما مَرَّ بِي نِصْفَ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُ وَحَدِّقْتُ فِيهِ، فَكُنْتُ أَكْتُبُ لَهُ ﷺ إِلَيْهِمْ وَأَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ.^١

فهذا شَخْصٌ وَاحِدٌ لَا أَشْخَاصٌ مُتَعَدِّدَةٌ، قَدْ اكْتَفَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيَانِ السَّرْيَانِيَّةِ لَا الْعِبْرَانِيَّةِ، وَكَانَ اللَّازِمُ عَلَى مُقْتَضَى اسْتِنْبَاطِكُمْ مِنْ اسْتِدْلَالِكُمُ الْبَاطِلَ أَنْ يَنْدَفِعَ جَلَّ الصَّحَابَةُ أَوْ كُلُّهُمْ فِي تَعْلُمِ لُغَاتِ الْأَجَانِبِ الَّذِينَ خَالَطُوهُمْ فِي أَيَّامِ ظُهُورِهِمْ، وَأَوَّلَ ذَلِكَ الْيَهُودُ بِالْمَدِينَةِ، وَالرُّومُ بِالشَّامِ، وَالْفُرسُ بِالْعِرَاقِ، وَالْقَبْطُ بِمِصْرَ، وَهِيَهَاتَ مَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ هِمَّتِهِمْ، وَمَا كَانُوا يَلْتَفِتُونَ إِلَى غَيْرِ لُغَتِهِمْ،^٢ كَانُوا يَتَدَاوَلُونَهَا نَقْلًا بِاللُّسَنِ الْفَصِيحَةِ الصَّحِيحَةِ، فَلَمَّا خَافُوا عَلَيْهَا الْأَعْوَجَاجَ مِنْ مُحَالِطَةِ مِثْلِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ انْدَفَعْتُمْ أَنْتُمْ فِي تَعْلُمِ لُغَاتِهِمْ، أَمَرُوا بِإِيدَاعِهَا الدَّفَاتِرَ، بَعْدَ الْمُبَالِغَةِ فِي الْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ حَرَّفَ، فَهَذَا سَبِيلٌ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ سَلَفِكُمْ الصَّالِحِ فِي شَرْفِهِمُ الْعَالِي.^٣

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحْسَنَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ فَلَا يَتَكَلَّمَ بِالْفَارِسِيَّةِ، فَإِنَّهُ يُورِثُ النِّفَاقَ»^٤، رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ ابْنِ عَمْرٍ. فَهَذَا نَصٌّ يَقْتَضِي مَنَعَ التَّكَلُّمِ بِالْفَارِسِيَّةِ لِمَنْ كَانَ يُحْسِنُ التَّكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ كَانَتْ

^١ السيرة الحلبية، نور الدين الحلبي، ج ٣، باب يذكر فيه حراسه صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، ص ٤٥٨.

^٢ قال ابن تيمية:

”ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر، ولغة أهلها رومية، وأرض العراق وخراسان ولغة أهلها فارسية، وأرض المغرب ولغة أهلها بربرية؛ عودوا أهل هذه البلاد العربية، حتى غلبت على أهل هذه الأمصار: مسلمهم وكافرهم، وهكذا كانت خراسان قديماً. انظر: تكوين الملكة اللغوية، د. البشير المراكشي، ط ٦، مركز نماء للبحوث والدراسات، ص ٥٠.

^٣ قال ياقوت الحموي: ”مرَّ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على قوم يسيئون الرمي، فقرعهم، فقالوا: إنا قوم "متعلمين" فأعرض مغضباً، وقال: والله لخطوكم في لسانكم أشد علي من خطفكم في رميكم“. وقال ابن جني: ”وروا أيضاً أن أحد ولادة عمر - رضي الله عنه - كتب إليه كتاباً لحن فيه، فكتب إليه عمر أن قنع كاتبك سوطاً“.

^٤ قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: ”من كان يحسن أن يتكلم الفصحى ثم لا يتكلمها فهو إما منافق، وإما على طريق النفاق“.



العربية سَلِيقَتَه، ثم يَنْحَرِفُ عنها إلى تَعْلُمِ الفارسيَّة، ويجعلها طَرِيقَتَه الجادَّة في جَمِيعِ مُخاطَبَاتِه، ولا يَرْجِعُ إلى العربية إلا اضْطِرَّارًا، فسَيَبْلُغُ في العربية سَبِيلَ أَسْلَافِه في الفارسيَّة، فأين الفرق وهيئات الاجتماع.

أَيُّهَا الْمَنْكُحُ الثَّرِيًّا سُهَيْلًا عَمْرُكَ اللَّهُ، كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ
هي شامِيَّة إذا ما اسْتَقَلَّتْ وسُهَيْل إذا اسْتَقَلَّ يَمَانِي^١

وقوله: «يُورِثُ الْبِقَاقَ»، أي يَكُونُ التَّكَلُّمُ بها من غير ضرر سَبَبُ الْبِقَاقِ، والعياذ بالله، وذلك كالإفضاء إلى محبة أهل الفارسية، أو البُغْضُ لأهل العربية، وقيل: إِنَّ التَّكَلُّمَ بها من غَيْرِ ضَرُورَةٍ بِنَفْسِهِ نِفَاقٌ، وذلك حيث آثرها على العربية.

وقولكم: ”أوليس الشَّماخي سعيد بن قاسم والسَّيدُ مُصْطَفَى وأُضْرَاجُهما عالِمين بلُغَةٍ الإنجليز وفَرَنَسَا وهُما أَجَلُّ الْأَصْحَابِ؟“. إن كَانَ المراد بالشَّماخي العالم الموجود الآن بمصر، قَرِينُ السَّيِّدِ مُصْطَفَى^٢، فالرَّجُلُ قاسم بن سعيد^٣ لا العكس، ولا أعرف حَقِيقَةَ مَعْرِفَتِهما باللغتين، وهبْ أَنَّهُمَا يَعْرِفَانِهُمَا، فماذا؟ وهل تُسَوِّغُ لَكُم مَعْرِفَتِهما ما كان ممنوعًا عليكم في ذلك، فهم أَعْلَمُ بِحَالِهِم، وهذه اللُّغَات لا تَمْنَعُها من حيث ذاتها، فَإِنَّ عَلَى كُلِّ لُغَةٍ جِيلًا مِنَ النَّاسِ لا يَضِيقُ عَلَيْهِمُ التَّكَلُّمُ بِلُغَتِهِمْ، ويكتفى منهم بالمعاملات والإقارارات ونحوها أن يتكَلَّمُوا بلُغَتِهِمْ، حتى ذكر اسم الله تعالى على الدَّيِّحَةِ، وإنَّما تَمْنَعُ أمثالكم من اختِيار غير لِسَانِكُم لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ.

^١ البيتان لعمر بن أبي ربيعة. انظر: ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار الكتاب العربي، ص ٤٩٤.

^٢ مصطفى بن إسماعيل صبري العمري الحموي أصلاً، المصري مولداً. أديب صحافي. رافق الشيخ الشماخي وتأثر به تأثراً شديداً، ودخل المذهب الإباضي بسببه. وللسيد مصطفى بن إسماعيل آثار عدّة منها: كتاب (الهدية الأولى الإسلامية للملوك والأمراء في الداء والدواء).

^٣ قاسم بن سعيد بن قاسم بن سليمان الشماخي العامري المغربي التفوسي: مفكر مصلح وباحث أديب، من علماء الإباضية. تميز الشماخي بكتاباتهِ الرائعة، وأسلوبهِ السلس، وطرحهِ الممتع المفيد، وترك جملة آثار منها: (سرد الحجة على أهل الغفلة)، و(الظهور المحتوم في الرد على العلامة الأزهري طموم).



وهذا (النبراس)^١ الذي اتَّفَقَ على مَرَاثِدِهِ الشَّيْخَانِ المذكورانِ يُنَادِي بِصَوْتٍ حَزِينٍ عَلَى أَطْرَاحِ الْعَرَبِيَّةِ وإِثَارَ مَا سِوَاهَا، قَالَ فِي الْعَدَدِ التَّاسِعِ مِنْهُ فِي صَفْحَةِ (٧٩) فِي (اسْتِثْلَافَاتٍ وَلِي عَهْدِ الْخُلَيْفَةِ لِدَرْسِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الشَّرِيفَةِ):

”السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، وَبَعْدُ: فَإِنَّا نَنْصَحُ إِلَيْكَ يَا سَيِّدَنَا رِشَادَ أَفْنَدِي أَنْ تَسْتَجْمَعَ عِنَايَتِكَ، وَتَكْدِّمَ جَمَاعَ فِكْرَتِكَ فِي تَحْصِيلِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ اللُّغَاتِ، لَتَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى مَعْرِفَةِ أَسْرَارِ الدِّينِ، وَفَقِهِ مَعَانِي التَّنْزِيلِ،^٢ فَلَا تَحْتَاجُ فِي تَصَرُّفَاتِكَ إِلَى مُتَرْجِمِينَ خَائِنِينَ؛ لِأَنَّهَا نَقِيصَةٌ شَائِنَةٌ، وَمِثْلُهَا فِي نَظَرِ الدِّينِ وَاضِحَةٌ بَائِنَةٌ. فَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ الْعَامِلَ الْعَظِيمَ مِنَ الْأَتْرَافِ إِنَّمَا هُوَ الَّذِي يَحْزُزُ الْعَدِيدَ مِنَ اللُّغَاتِ الْأَعْجَمِيَّةِ، وَلَا عَارَ عَلَيْهِ فِي جَهْلِهِ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَتَذَوَّقُوا طَعْمَ الْإِيمَانِ وَيَتَلَذَّذُوا بِثَمَرَاتِ أَسْرَارِ الْقُرْآنِ، فَهُمْ بِذَلِكَ أَعْضَاءُ أَشْلَاءَ، تَسَامَحَ لَهُمُ الْقَدَرُ فِي السِّيَادَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِلَا اسْتِحْقَاقٍ، وَتَقَدَّرُوا مَوْقِفَ الْعَبِيدِ، وَأَنْفُوا مِنْ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ لَا تَنْفَعُ مِنْ غَيْرِ الْقَرَائِضِ، وَالْقَرَائِضُ لَا تَنْفَعُ إِلَّا بِالْامْتِنَاعِ عَنِ الشُّبُهَاتِ، وَالْامْتِنَاعُ عَنِ الشُّبُهَاتِ لَا يَنْفَعُ إِلَّا بِالْوَرَعِ، وَأَهْلُ الْوَرَعِ لَا يَأْكُلُونَ إِلَّا مَا حَصَدُوا، وَلَا يَحْصُدُونَ إِلَّا مَا زَرَعُوا مِنْ حَلَالٍ. وَرِجَالُ لَوَائِكُمُ الْمَنْصُورِ - إِلَّا مِنْ رَجَمِ رَبِّي - قَدْ حَرَّكَوا مِنْ نَشَاطِ الْبُطْنَةِ، وَهَمَّةِ الْفَرْجِ عَلَى أَرَائِكِ الْقُصُورِ مَا تَجَاوَزُوا بِهِ حَدَّ الْإِعْتِدَالِ مِنْ ارْتِكَابِ الْقُضَائِعِ فِي بَيْعِ الْبِلَادِ، وَاتِّخَاذِ عِبَادِ اللَّهِ حَوْلًا، وَمَالِ اللَّهِ دُولًا، وَتَطَرَّقِ الْحِرْصِ عَلَى هَذَا التَّرَفِّ فِي أَخْلَاقِهِمْ، وَنَشَأَ عَنْ ذَلِكَ مَا لَا يُمْكِنُ اجْتِنَابُهُ إِلَّا بِطَرْدِهِمْ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاصِبِ، أَوْ تَحْلُلِ

^١ نبراس المشاركة والمغاربة، جريدة دينية أدبية سياسية، صاحبها ومحررها: السيد قاسم بن سعيد الشماخي العامري، والسيد مصطفى بن إسماعيل العمري، وقد حملت هذه المجلة العديد من المضامين والمعاني السامية، فكانت ترفع شعار الوحدة الإسلامية، والاعتصام بحبل الله المتين، والذود عن حمى الإسلام، وإنشاء السدود المنيع لمواجهة السيل الأوروبي الخطير، كما دعت المجلة إلى لم الشمل ورأب الصدع والاجتماع تحت لواء واحد للخروج من الأزمات التي تعصف بالعالم الإسلامي. انظر: نبراس المشاركة والمغاربة، ذكرة عمان، ط ١، ص ١٧-٢٦.

^٢ قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: ”تعلموا العربية فإنها من دينكم“. وقال أيضا: ”تعلموا العربية فإنها تقوي العقل وتزيد في المروءة“.



عليهم قارعة من قَوارِعِ السَّمَاءِ وَهُمْ عَلَى أَغْفَلٍ مَا يَكُونُوا^١؛ لَأَنَّ الْفِطَامَ عَنِ الْمَأْلُوفِ شَدِيدٌ، وَكَذَلِكَ الْعَرَبُ الْمَلْتَقُونَ حَوْلَكُمْ قَدْ يَظْهَرُ أَنَّهُمْ نَسُوا الْعَرَبِيَّةَ وَأَصْبَحُوا أَعْجَامًا يَسْخَرُونَ مِنْهَا، لَا يَحْتَلِفُونَ فِي مَشَارِبِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ عَنِ أَوْلَئِكَ الْمُوصُوفِينَ، فَاللَّهُ سَائِلُهُمْ طَوِيلًا.

وَيَنْقَسِمُ رِجَالُ لَوَائِكُمُ الْمَنْصُورِ يَا سَيِّدَنَا رَشَادُ أَفْنَدِي إِلَى فَرِيقَيْنِ: فَرِيقٍ شَرْعِيٍّ، وَفَرِيقٍ سِيَاسِيٍّ.

أَمَّا الْفَرِيقُ الشَّرْعِيُّ فَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ رَجُلٍ يَقُولُ بِمَا تَقُولُونَ، وَيَفْعَلُ مَا تَنْكِرُونَ»، أَوْ كَمَا قَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ. فَأَفْعَالُ هَذَا الْفَرِيقِ إِنَّمَا جَاءَتْ بِرَمَتْهَا رَمْدًا لَجْفَنِ الدِّينِ، وَلَيْسَ لِلَّهِ فِي عِلْمِهِمْ شَيْءٌ، وَلَهُمْ مِنَ الْوَعِيدِ مَا يَسْبِقُونَ بِهِ عَبْدَةَ الْأَوْثَانِ.

وَأَمَّا الْفَرِيقُ السِّيَاسِيُّ فَهُوَ الَّذِي أَسَاءَ إِلَى نَفْسِهِ، وَأَهْمَلَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ فِي ضَبْطِ شَأْنِهِ، وَمَنْ كَانَ لِنَفْسِهِ ظَالِمًا كَانَ لغيرِهِ أَظْلَمَ، وَقَدْ وَجَدْنَا فِي سِيَاسَتِهِمْ مَطْعَنًا، وَانْتَهَيْنَا إِلَى مَعْرِفَةِ أَسْبَابِهِ وَهِيَ تَفْيِثُهُمْ ظِلَّ النَّفْسِ وَالْهَوَى، فَطَابَ لَهُمُ الْمَقَامُ فِي مَنَازِلِ الْجِسْمَانِيَّةِ، وَالْمَعَالِمِ الظُّلْمَانِيَّةِ الَّتِي تَنَاهَتْ بِهِمْ إِلَى مَا تَرَاهُ الْآنَ مِنَ الْفِتْنَةِ الْعَمِيَاءِ الصَّمَاءِ الْبَكْمَاءِ، الَّتِي لَا تَسْمَعُ لِنَاعِقِهَا، وَلَا تَنْسَاقُ لِقَائِدِهَا، فَلَا يُرْجَى لِلْحَقِّ أَنْ يَطْلُبَ فِيهِمْ ضَالَّتَهُ، وَلَا لِلصَّوَابِ أَنْ يُصِيبَ نَشْدَتَهُ.

فَاللَّهُ اللَّهُ يَا سَيِّدَنَا رَشَادُ أَفْنَدِي فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي أَنْتُمْ أَوْلِيَاؤُهَا، وَلَا يَسُدُّ أَمْرَكُمْ إِلَّا بِهَا، لِأَنَّهَا لُغَةُ مَوْرَثِكُمُ النَّبَايَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَلَا يَصْلَحُ شَأْنُكُمْ إِلَّا بِهَا لِأَنَّهَا لُغَةُ الْقُرْآنِ^٢، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]. فَإِذَا خِفْتَ الْوَعِيدَ يَا ابْنَ

^١ في الجملة المنقول منها: "يكونون".

^٢ قال الإمام محمد الغزالي: "وأحب أن أعان على الحفاظ على لغة العرب من شعائر الإسلام، وأن درجة هذه اللغة إلى منزلة ثانوية خيانة لله ورسوله، وأن تعلم النحو والصرف كتعلم التفسير والحديث، وأن إقرار الأخطاء اللغوية كإقرار المعاصي الدينية سواء بسواء".



عبد المجيد قرّة عين أهل التّوحيد، عدلت، وأنصفت المظلوم، وأويت المضطّهد، وأغثت الملهوف، وأعنت الطّالب، وسدّدت أمر المسترشد، وأعطيت الفقير، ورحمت الكبير، واحترمت أهل الطّاعة فدخلت الجنّة، فإذا لغتها العربيّة.

واعلم أن رعيّتك فريقان: فريق عام "أهل الشّغب" فهو موضوع السيّف، وفريق خاصّ "أولوا النّهي والتّوفيق" وهو موضوع القرآن؛ لأنّ العامّي يرى السيّف فيرتدّع، والخاصّي يرى الحقّ فيتبع. فإذا تعلّمت العربيّة وعرفت غرض التّنزيل، وكان في علم الله تعالى أن تكون خليفة بعد أخيك الرّجل الأجل الصّالح -أطال الله أيامه، ونال الحقّ منه آماله- تسوّى للمسلمين كافّة أن يطمعوا في فضلك، وصدق عليك قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿[السجدة: ٢٤]﴾. والسّلام عليك وعلى أخيك سيّدنا المطاع وآل جمعكم الأخصّاء ورحمة الله، وأدام الله من فضله لكم العز والسّيادة والشّوكة والإجادة والنّفوذ والسّلطان مدى الأزمان^١.

هذا كلام السيّد مصطفى بن إسماعيل في (النّبراس)، أوردته بأسره لما أودعه من حسن المرشد، وله في (الهدية الإسلاميّة)^٢ كلام استقصى فيه آفات اللّغة الأجنبية من إنجليزيّة وفرنساويّة، وإنّ من آفاتنا تغيّر أخلاق المسلمين، ونهاوهم بأمر الدين، وتلوّثهم بأخلاق هؤلاء المردة الشّياطين، واسترسلهم في شنيع القبائح، وقبيح الفصائح، واستيلاء أعدائهم عليهم، وتمكّنهم من قلوبهم وأجسامهم، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

فإن أحبّبت الاطّلاع على آفات الأوقات من هذه اللّغات وغيرها من التّعليمات والمكائد التي نصبها للمسلمين أعداء الدين، فعليك بقراءة (الهدية الإسلاميّة) من أولها إلى آخرها، تجد كل الصّيد في جوف الفرا^٣. وكذلك ينبغي الاطّلاع على مقاصد

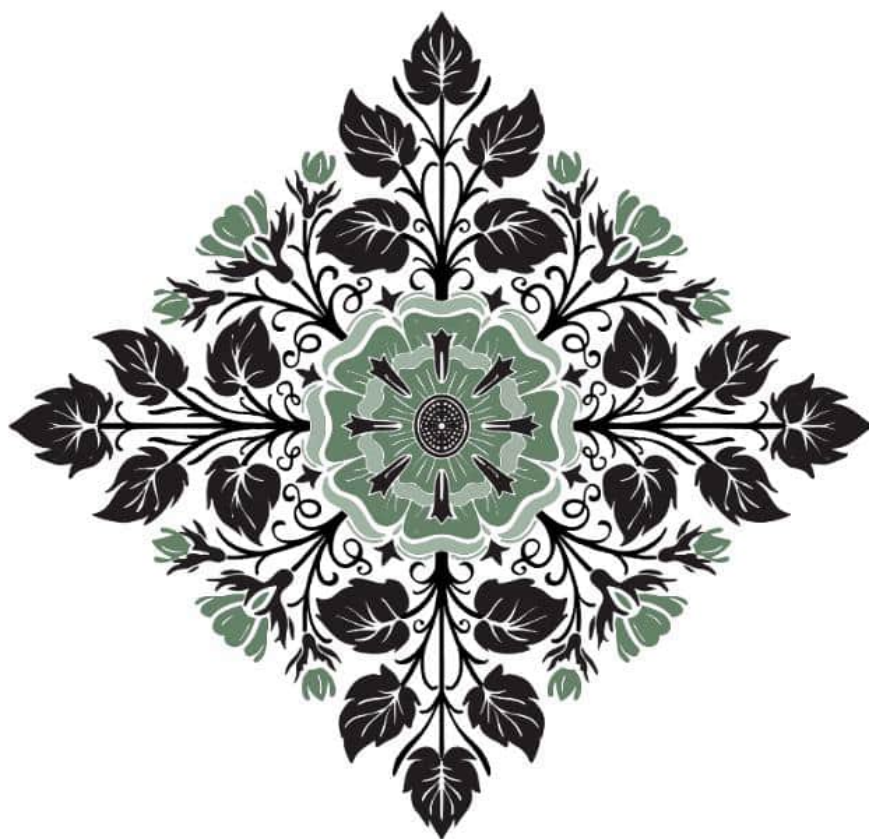
^١ انظر: نبراس المشاركة والمغاربة، ذاكرة عمان، ط١، العدد التاسع، ص ٢١٨-٢٢٠.

^٢ وهو كتاب (الهدية الأولى الإسلاميّة للملوك والأمراء في الداء والدواء) للسيّد مصطفى بن إسماعيل.

^٣ "اكتسحت اللغات الأوروبية أمة الإسلام خلال حقبة الاستعمار وما بعدها. وكان من أعظم غايات المستعمر أن تصبح اللغة العربيّة مثل اللاتينيّة، التي صارت لغة متحفية ميتة، تدرس كما تدرس الآثار التاريخيّة القديمة". انظر: تكوين الملكة اللغويّة، د. البشير المراكشي، ط٦، مركز نماء للبحوث والدراسات، ص ٥٨.



(النِّبْرَاسُ)، والالتفات إلى مَرَاشِدِهِ فَإِنَّهَا النَّصَائِحُ الْبَلِیْغَةُ، وَالْعِظَاتُ الْكَامِلَةُ، وَاللَّهُ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.





الفصل الرابع

في خلق اللّحي

وقد وافقنا المعتز على منعه، وقال: إنّ حالق اللّحية قد نشر بئرق النفاق على رؤوس الأَشهاد، فلا كلام فيه؛ لأنّه فرغ من الحكم فيه، صرّح الأثر بقاصّ اللّحية أنّه فاعل كبيرة، فالحالق أولى منه.

لكن غيره ممّن كان على شاكلته من أهل ناحيته قد جادل في ذلك، فأرسل سؤالاً نصّه: هل خلق اللّحي وغلفها من كبير الذنوب أم من صغيرها؟ فإن كان منهما أو من أحدهما فهل من دليل من الكتاب والسنة؟ أو من السنة وحدها؟ آتونا به، وإلا فلم تحرمون المباح علينا من غير إيضاح؟ أليس لنا أن نترنّ لنسائنا ونتصنّع؟ ألسنا مأمورين بالنظافة والطهارة كتقليم الأظافر وخلق الشعور التي في الصدور؟ بين لي.

فأجبت بما نصّه:

ما كنت أحسب أن يمتدّ بي زمني حتى أرى دولة الأوغاد والسفّل^١

ما رأيت عجباً كالיום، ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]، كيف يطلب الدليل على شيء عليم من الدين بالضرورة؟

^١ البيت من قصيدة "لامية العجم" للطغرائي، وقد جاء بلفظ:

ما كنت أؤثر أن يمتدّ بي زمني حتى أرى دولة الأوغاد والسفّل

انظر: ديوان الطغرائي، ص ٥٥.



وليس يصح في الأذهان شيءٌ إذا احتاج النَّهارُ إلى دليلٍ^١

ما مثلك في قولك هذا إلا مثل مَنْ ينكر الشمس رابعة النَّهار، ويقول اثني بدليل على طلوعها. فهذه الأُمَّةُ المحمَّديَّةُ أجمعت على توفيرِ اللَّحَى إجماعاً كاد أن لا يُشابهه غيره، لما عَرَفُوا مِنْ ثُبُوتِ ذلك عَنْ نَبِيِّهِمْ - عليه أفضل الصَّلَاةِ والسَّلَام - . وكانت العرب في جاهليَّتها تحترم اللَّحَى أيَّ احترام، وأنتم في إسلامكم قد أهنتُموها كل الإهانة، ألا إنَّ جرَّها من الكبائر؛ لأنَّه من خصال المشركين من الأعاجم، وفي الصَّحيحين من حديث ابن عُمر يرفعه: «خالفوا المشركين؛ جرَّوا الشَّوَارِبَ، ووَقَّروا اللَّحَى»^٢. وعند الربيع من حديث أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِإِحْقَاءِ الشَّارِبِ وإِعْقَاءِ اللَّحَى^٣. ومعنى إغفائها: توفيرها، أي: تُجْعَلُ وافيةً لا يُقَطَّعُ منها شيءٌ، ففَطَّعُها مِنْهَى عنه. وجرَّ الشَّوَارِبِ وحلَّق العانة وتقليم الأظفار مأمور به، ولا يصح أن يُقاس ما كان مِنْهَى عنه على ما كان مأموراً به، فمن قاس ذلك فقد خالفَ مُحَمَّدًا ﷺ جَهَاراً، وأتبع إبليسَ في قِيَاسِهِ الفاسِدِ في تَفْضِيلِ نَفْسِهِ على آدم.

ولا يَنْفَعُكم التَّلَلُّ بأنَّ في قَطْعِها زينةً للنِّساءِ، فهذا رسولُ الله ﷺ يقول: «لَعَنَ اللهُ النَّامِصَةَ، والمَتَنَمِصَةَ، والوَاصِلَةَ، والمُسْتَوْصِلَةَ، والوَاشِمَةَ، والمُسْتَوْشِمَةَ، والمتَقَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ»^٤، رواه الرَّبِيعُ - رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ - مِنْ طَرِيقِ ابنِ عَبَّاسٍ.

^١ البيت للمتنبي.

^٢ انظر في هذا الكتاب، ص ٥٢. أمّا بلفظ "جزوا" فلم يرو إلا بعبارة: «خالفوا المجوس» عن أبي هريرة، فعند مسلم، ٢م، دار التأصيل، كتاب الطهارة، باب خمس من الفطرة، رقم ٢٥١، ص ٣٥، قال: «حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ أَخْبَرَنِي، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ مَوْلَى الْحَرْقَةِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «جُرُّوا الشَّوَارِبَ وَأَرْحُوا اللَّحَى خَالِفُوا الْمَجُوسَ». وعند أحمد، م ١٤، رقم ٨٧٨٥، ص ٣٩٠، حدثنا الخُزَاعِي، قال: حدثنا سليمان، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ، قال: «جُرُّوا الشَّوَارِبَ، وَأَغْفُوا اللَّحَى، وخالفوا المجوس».

^٣ الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع، ص ٣١٤.

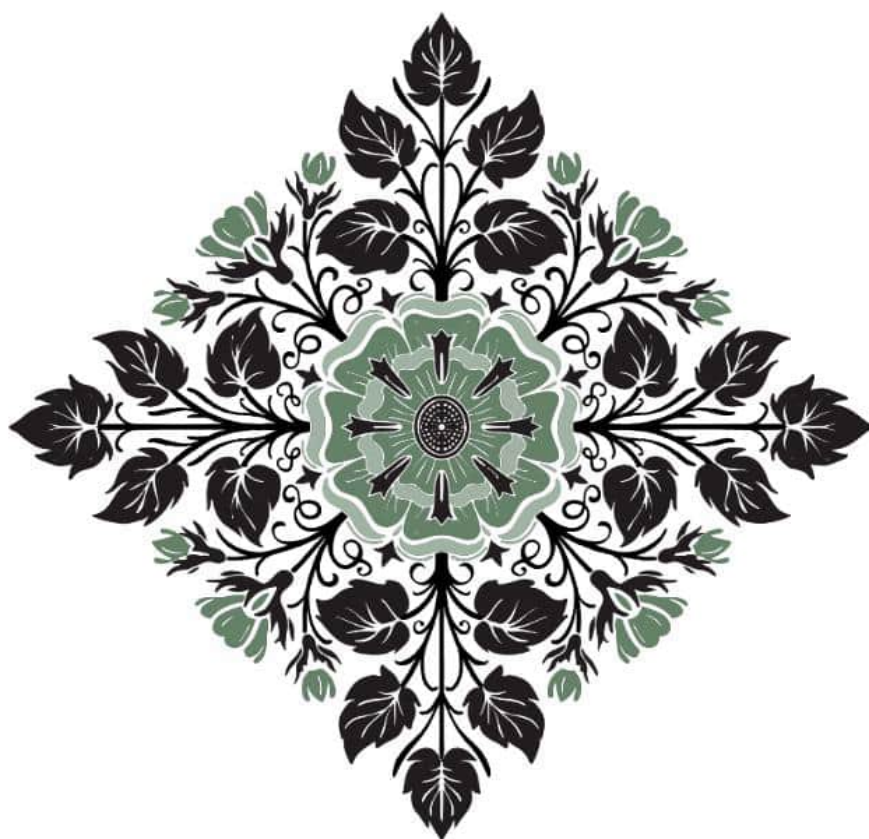
^٤ الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع، ص ٢٨٠-٢٨١.



قال الرِّبيع: النَّامِصَةُ التي تَأْخُذُ مِنْ شَعْرِهَا^١ لِيَكُونَ رَقِيقًا مُعْتَدِلًا، وَالمْتَنَمِصَةُ التي يُفْعَلُ بِهَا ذَلِكَ، وَالمُتَوَصِّلَةُ التي تُوصِلُ شَعْرَ رَأْسِهَا لِيُقَالَ: إِنَّهُ طَوِيلٌ، وَالمُسْتَوَصِّلَةُ التي يُفْعَلُ بِهَا ذَلِكَ، وَالمُتَوَشِّمَةُ التي تَجْعَلُ الوَشْمَ فِي وَجْهِهَا، أَوْ فِي ذِرَاعِهَا، وَالمُسْتَوَشِّمَةُ التي يُفْعَلُ بِهَا ذَلِكَ، وَالمُتَفَلِّجَاتُ اللَّاتِي يُفْلَجْنَ مَا بَيْنَ أُسْنَانِهِنَّ لِلْجَمَالِ.

فهذه الأصناف مِنَ النِّسَاءِ قَدْ ثَبَّتَتْ عَلَيْهِنَّ اللَّعْنَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُنَّ إِثْمًا فَعَلْنَ ذَلِكَ لِلْجَمَالِ وَالحُسْنِ. وَمِنْ المَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ دُونَ جَزِّ اللَّحَى، عَلَى أَنَّ فِي جَزِّهَا تَشْبُهًا بِالمَشْرُكِينَ مِنَ الْأَعَاجِمِ أَشْبَاهِ الْبَانِيَانِ، وَبَعْضُ الْأَعَاجِمِ لَا يَرْضَى ذَلِكَ كَالْفَرَنْسِيِّسِ، وَفِيهِ أَيْضًا تَشْبُهٌ بِالنِّسَاءِ، وَقَدْ جَاءَ اللَّعْنُ لِلْمُتَشَبِّهِينَ بِالنِّسَاءِ وَالمُتَشَبِّهَاتِ بِالرِّجَالِ، وَالعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ.

^١ في مسند الإمام الربيع: "مِنْ شَعْرِ حَاجِبَيْهَا".





الفصل الخامس

في السَّبَبِ الَّذِي دَخَلَ [بِهِ]¹ النَّصَارَى بِلَادَ الْإِسْلَامِ

ذَكَرَ الْمُعْتَرِضُ مَا يَقْتَضِي أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ فِرَارُ بَقِيَّةِ أَهْلِ الدِّينِ بِدِينِهِمْ، وَعَمِيَتْ بِصِيرَتِهِ عَنْ مُوجِبِ ذَلِكَ، وَمَا عَلِمَ أَنَّ السَّبَبَ الْأَعْظَمَ انْخِمَادَ هِمَمِ الْمُلُوكِ، وَضَلَالَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ، وَاتِّبَاعَهُمُ الشَّهَوَاتِ، وَتَعْطِيلَهُمُ الْحُدُودَ، وَتَضْيِيعَهُمُ الْأَحْكَامَ، وَتَقْدِيمَهُمُ السِّيَاسَةَ النَّصْرَانِيَّةَ عَلَى السِّيَاسَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَاخْتِيَارَهُمُ الْهَوَى عَلَى الْحَقِّ، وَالظُّلْمَ عَلَى الْعَدْلِ، وَالدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ.

فَقَالَ مَا نَصَّهُ: وَأَمَّا التَّدَاخُلُ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ كَتَّدَاخُلِ الزَّنَجَارِيِّينَ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَمْتَنِعُوا؛ لِأَنَّ أَرْمَةَ أُمُورِ زَنْجِبَارٍ بِأَيْدِي الْمُشْرِكِينَ، وَدَوَاعِي الْإِمْتِحَانِ دَائِرَةٌ فِي كُلِّ حِينٍ، وَمَاذَا إِلَّا لَا مَمْتَنَاعَ الْفُضْلَاءِ مِنْ تَوَلِيَةِ الْحُكْمِ عِنْدَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ، حَتَّى انْقَادَ الْأَمْرُ إِلَيْهِمْ، وَأَحَاجُوا النَّاسَ إِلَى التَّدَاخُلِ؛ زَعَمًا مِنْهُمْ أَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ، فَهَذَا الْآنَ الْوَاقِعُ عَلَيْنَا بِسَبَبِ التَّخَاذُلِ.

وَجَوَابُهُ: لَوْ تَدْرِي مَا قُلْتُ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ لَأَكْثَرَتِ الرَّفَرَاتُ، وَأَطْلَتِ الْعِبَرَاتُ، كَيْفَ تَقُولُ: ”زَعَمًا مِنْهُمْ أَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ“، كَأَنَّكَ الْمَكْذِبُ بِذَلِكَ، وَنُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةُ الْقَاطِعَاتُ تَمْنَعُنَا مِنْ مُعَاوَنَتِهِمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَلَوْ بِأَقْلٍ قَلِيلٍ! وَالْجَهْلُ آفَةٌ، وَلَوْلَا أَنَّ الْكَلَامَ يَخْرُجُ بِنَا عَنْ الْمَقْصُودِ لَبَسَطْنَا الْأَدْلَةَ عَلَى مَنَعَ الظُّلْمِ وَالْمُعَاوَنَةِ عَلَيْهِ، وَحَسْبُكَ الْآنَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

¹ إضافة من النسخة (و).



وَقَدْ لَمِتْ أَنْتَ الْفُضْلَاءَ بِمَا أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَدَعَوْتَهُمْ إِلَى فِعْلٍ دَمَّ اللَّهُ الدَّاحِلَ فِيهِ، فَهَذَا مُؤْمِنٌ آلَ فِرْعَوْنَ، بَسَطَ اللَّهُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِ^١ بِمَا لَمْ يَذْكُرْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ، حَتَّى تُسَبِّتَ السُّورَةُ إِلَيْهِ مِنْ طُولِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَهُوَ فَرْدٌ وَاحِدٌ قَدْ خَالَفَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَلَمْ يَتَّبِعْهُمْ فِي طَرِيقَتِهِمْ، وَفَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مِمَّا مَكْرُوهًا﴾ [غافر: ٤٥]. وَذَلِكَ الْجَمْعُ الْكَثِيرُ مِنْ أَتْبَاعِ فِرْعَوْنَ، قَدْ دَمَّاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُتَابَعَتِهِ بِأَقْبَحِ دَمٍّ فِي قَوْلِهِ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿[الزخرف: ٥٤]. وَذَلِكَ الرَّجُلُ وَهُوَ صَاحِبُ يَسَ، رَجُلٌ مُفْرَدٌ جَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى إِلَى ذَلِكَ الْجَمِّ الْكَثِيرِ يَقُولُ لَهُمْ: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿[يس: ٢٠-٢١] إِلَى آخِرِ مَا قَصَّ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ قَوْمِهِ وَعَنْ نَجَاتِهِ وَهَلَاكِهِمْ. وَتِلْكَ الْفِتْيَةُ مِنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَهُمْ نَفَرٌ قَلِيلٌ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ، خَالَفُوا جَمِيعَ قَوْمِهِمْ، وَفَرَّوْا عَنْ مَلِكِهِمْ، فَذَكَرَ اللَّهُ قِصَّتَهُمْ فِي الْكَهْفِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ، وَرَزَقَهُمُ الْكَرَامَةَ الدَّائِمَةَ، وَالسَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ، وَذَكَرَ قَوْمَهُمْ بِعَكْسِ ذَلِكَ.

وَلَوْ عَقَلْتُ أُيُّهَا الْمُعْتَرِضُ الْمَجَادِلُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَنُونَ أَنْفُسَهُمْ لَعَلِمْتَ الْعِلْمَ الْيَقِينُ أَنَّ الْأَفْئَةَ إِذَا جَاءَتْ مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَيَّرْتَ أَنْتَ الْفُضْلَاءَ عَلَى النَّفَرَةِ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ وَتَبَدَّلُوا بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْمَزَامِيرَ وَبِالذِّكْرِ اللَّهَوِ وَالطَّرْبَ. وَلَا عَجَبُ أَنْ تُلَّ عَرْشُ مَمَالِكٍ قَوَائِمُهُ عَوْدٌ وَدُفٌّ وَمِزْهَرٌ^٢

وَالْعَجَبُ مِنْكَ كَيْفَ لَمْ تُوجِّهْ الْعِتَابَ إِلَيْهِمْ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ صَلَاحَ الرَّعِيَةِ بِصِلَاحِ مَلِكِهَا، لِأَنَّهُ كَالرُّوحِ وَهُمْ مِثْلُ الْجَسَدِ، وَهُوَ كَالْعَقْلِ وَهُمْ كَسَائِرِ الْحَوَاسِ، وَهُوَ كَالرَّأْسِ وَهُمْ كَسَائِرِ الْأَعْضَاءِ، وَهُوَ فِي الْعَالَمِ كَالشَّمْسِ وَهُمْ كَسَائِرِ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ، صَلَاحُهَا

^١ سورة غافر.

^٢ البيت لحافظ إبراهيم، من قصيدته: أطل على الأكوان والخلق تنظر. وقد جاء بلفظ:

ولا عجب أن تُلَّ عَرْشُ مَمْلُكٍ قَوَائِمُهُ عَوْدٌ وَدُفٌّ وَمِزْهَرٌ



مَنْوُطٌ بِوُجُودِ الشَّمْسِ، فَحَيْثُ لَا تُوجَدُ الشَّمْسُ لَا يُوجَدُ النَّبَاتُ وَلَا الْحَيَوَانَاتُ لِفَرْطِ
الْبُرُودَةِ.

وَقَالَ الْحُكَمَاءُ: "النَّاسُ تَبَعٌ لِإِمَامِهِمْ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ". وَقَالَ أَبُو حَازِمٍ الْأَعْرَجُ: "الإمام
سُوقٌ، فَمَا نَفَقَ عِنْدَهُ جُلِبَ إِلَيْهِ".^١

وَمَا أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بَتَاجُ كَسْرَى وَسِوَارِيهِ، قَالَ: إِنَّ الَّذِي
أَدَّى هَذَا لِأَمِينٍ. قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْتَ أَمِينُ اللَّهِ، يُؤَدُّونَ إِلَيْكَ مَا أَدَّيْتَ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنْ رَتَعْتَ^٢ رَتَعُوا.^٣

وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ فِي هَذَا قَوْلُهُمْ: "إِذَا صَلَحَتِ الْعَيْنُ صَلَحَتِ سَوَاقِيهَا". وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ:
"يُقَالُ: صَنَفَانِ إِذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ: الْأُمَرَاءُ وَالْفُقَهَاءُ".^٤

وَاطَّلَعَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ عَلَى ضَيْعَةٍ لَهُ بِالْعُوطَةِ، فَأَنْكَرَ مِنْهَا شَيْئًا، فَقَالَ لَوَكِيلِهِ: وَيْحَكَ!
إِنِّي لِأُظَنُّكَ تَخُونِي. قَالَ: أَتَظُنُّ ذَلِكَ وَلَا تَسْتَيْقِنُهُ. قَالَ: وَتَفْعَلُ؟ قَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ، إِنِّي
لَأُخَوِّنُكَ، وَإِنَّكَ لَتَخُونُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَيَخُونُ اللَّهَ؛ فَلَعَنَ اللَّهُ شَرَّ
الْمَلَائِكَةِ.^٥ وَكَانَ مَرْوَانُ يَوْمَئِذٍ عَامِلًا لِمَعَاوِيَةَ عَلَى الْمَدِينَةِ.

بَيْنَمَا الْمَنْصُورُ فِي الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ لَيْلًا إِذْ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ظُهُورَ
الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَمَا يَحُولُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ الطَّمَعِ، فَجَزَعُ^٦ الْمَنْصُورُ،

^١ انظر: العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، ط ١، ج ١، ص ٣١.

^٢ رتعت: تنادمت عن حقوق الله.

^٣ المصدر السابق.

^٤ المصدر السابق.

^٥ المصدر السابق.

^٦ في العقد الفريد: "فخرج".



فَجَلَسَ بِنَاحِيَةِ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَأَرْسَلَ إِلَى الرَّجُلِ، فَصَلَّى^١ رَكَعَتَيْنِ، وَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ، وَأَقْبَلَ
مَعَ الرَّسُولِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ.

فَقَالَ الْمَنْصُورُ: مَا الَّذِي سَمِعْتُكَ تَذَكَّرُ مِنْ ظُهُورِ الْفَسَادِ وَالْبَغْيِ فِي الْأَرْضِ، وَمَا الَّذِي
يَحُولُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ الطَّمَعِ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ حَشَوْتُ مَسَامِعِي مَا أَمْرَضَنِي.

فَقَالَ: إِنْ أَقْنَيْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمْتُكَ بِالْأُمُورِ مِنْ أَصُولِهَا، وَإِلَّا احْتَجَرْتُ مِنْكَ
وَاقْتَصَرْتُ عَلَى نَفْسِي فَمِنْهَا شَاغِلٌ.

قَالَ: فَأَنْتَ آمِنٌ عَلَى نَفْسِكَ فَقُلْ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الَّذِي دَخَلَ الطَّمَعُ
وَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا ظَهَرَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْفَسَادِ وَالْبَغْيِ لَأَنْتَ. فَقَالَ: فَكَيْفَ ذَلِكَ
وَيَحْكُ! يَدْخُلُنِي الطَّمَعُ وَالصَّفَرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ فِي قَبْضَتِي، وَالْخُلُو وَالْحَامِضُ عِنْدِي؟ قَالَ:
وَهَلْ دَخَلَ أَحَدٌ مِنَ الطَّمَعِ مَا دَخَلَكَ؟ إِنْ اللَّهُ اسْتَرَعَاكَ أَمْرَ عِبَادِهِ وَأُمُورِهِمْ، فَأَغْفَلْتُ
أُمُورَهُمْ، وَاهْتَمَمْتُ بِجَمْعِ أُمُورِهِمْ، وَجَعَلْتُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حِجَابًا مِنَ الْجِصِّ وَالْأَجْرِ،
وَأَبْوَابًا مِنَ الْحَدِيدِ، وَخُرَاسًا مَعَهُمُ السِّلَاحَ، ثُمَّ سَجَنْتَ نَفْسَكَ عَنْهُمْ فِيهَا، وَبَعَثْتَ
عُمَّالَكَ فِي جَبَايَاتِ الْأَمْوَالِ وَجَمَعَهَا، وَأَمَرْتَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ إِلَّا
فُلَانٌ وَفُلَانٌ، نَفَرًا سَمَّيْتَهُمْ، وَلَمْ تَأْمُرْ بِإِصْصَالِ الْمَظْلُومِ، وَلَا الْمَلْهُوفِ، وَلَا الْجَائِعِ الْعَارِي
إِلَيْكَ، وَلَا أَحَدٌ إِلَّا وَلَهُ فِي هَذَا الْمَالِ حَقٌّ، فَلَمَّا رَأَى هَؤُلَاءِ النَّفَرِ الَّذِينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ
لِنَفْسِكَ وَآثَرْتَهُمْ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَأَمَرْتَ أَنْ لَا يُجْجَبُوا دُونَكَ، تَجَبَّى الْأَمْوَالُ وَتَجَمَّعُهَا. قَالُوا:
هَذَا قَدْ خَانَ اللَّهُ فَمَا لَنَا لَا نَخُونُهُ. فَاتْتَمَرُوا أَلَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ عِلْمِ أَخْبَارِ النَّاسِ شَيْءٌ
إِلَّا مَا أَرَادُوا، وَلَا يَخْرُجُ لَكَ عَامِلٌ إِلَّا خَوَّنُوهُ عِنْدَكَ وَنَفُوهُ، حَتَّى تَسْقُطَ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَكَ،
فَلَمَّا انْتَشَرَ ذَلِكَ عَنْكَ وَعَنْهُمْ، عَظَّمَهُمُ النَّاسُ وَهَابُوهُمْ وَصَانَعُوهُمْ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ
صَانَعَهُمْ عُمَّالُكَ بِالْهَدَايَا وَالْأَمْوَالِ، لِيَقْوُوا بِهَا عَلَى ظُلْمِ رَعِيَّتِكَ، ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ دُورُ
الْمُقَدَّرَةِ وَالثَّرْوَةِ مِنْ رَعِيَّتِكَ، لِيَنَالُوا ظِلْمَ مَنْ دُونِهِمْ، فَامْتَلَأَتْ بِلَادُ اللَّهِ بِالطَّمَعِ ظُلْمًا وَبَغْيًا
وَفَسَادًا، وَصَارَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ شُرَكَاءُكَ فِي سُلْطَانِكَ وَأَنْتَ غَافِلٌ، فَإِنْ جَاءَ مُتَظَلِّمٌ حِيلَ

^١ أي الرجل.



بينك وبينه، فإن أراد رَفَعَ قِصَّتَهُ إِلَيْكَ عند ظُهُورك وجَدَكَ قد نَحِيتَ عن ذلك، وأوقِفْتَ للنَّاسِ رَجُلًا يَنْظُرُ في مَظالمهم، فإن جاء ذلك المَظْلوم فَبَلَغَ بِطانتك^١ حَبْرَهُ، سألوا صاحب المَظالم ألا يَرِفَع مَظْلَمَتَهُ إِلَيْكَ، فلا يزال المَظْلومُ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ وَيَلُودُ بِهِ، وَيَشْكُو وَيَسْتَغِيثُ، وهو يَدْفَعُهُ، فإذا جَهِدَ وأَخْرَجَ^٢ ثم ظَهَرَتْ صَرَخَ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَيُضْرَبُ ضَرْبًا مَبْرَحًا يَكُونُ نَكالًا لغيره، وأنتَ تَنْظُرُ فما تَنكِرُ! فما بقاءُ الإِسْلامِ؟

وقد كُنْتُ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أُسَافِرُ إلى الصَّيْنِ فَقَدِمْتُهَا مَرَّةً وَقَدْ أَصِيبَ مَلِكُهُمْ بِسَمْعِهِ، فَبَكَى يَوْمًا بُكَاءً شَدِيدًا، فَحَثَّ جُلُوسًاؤُهُ عَلَى الصَّبْرِ، فَقَالَ: أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي لِلْبَلِيَّةِ النَّازِلَةِ، وَلَكِنِّي أَبْكِي لِمَظْلُومٍ يَصْرُخُ بِالْبَابِ فَلَا أَسْمَعُ صَوْتَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا إِذْ قَدْ ذَهَبَ سَمْعِي فَإِنْ بَصُرِي لَمْ يَذْهَبْ، نَادُوا فِي النَّاسِ أَنْ لَا يَلْبَسَ ثَوْبًا أَحْمَرَ إِلَّا مُتَظَلَّمٌ. ثُمَّ كَانَ يَرْكَبُ الْفِيلَ طَرَفِي النَّهَارِ، وَيَنْظُرُ هَلْ يَرَى مَظْلُومًا، فَهَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ، بَلَغَتْ رَأْفَتُهُ بِالْمُشْرِكِينَ هَذَا الْمُبْلَغُ، وَأَنْتَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ لَا تَغْلِبُكَ رَأْفَتُكَ بِالْمُسْلِمِينَ عَلَى شُحِّ نَفْسِكَ! فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَجْمَعُ الْمَالَ لَوَلَدِكَ، فَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ عِبرًا فِي الطِّفْلِ يَسْقُطُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ مَا لَهُ عَلَى الْأَرْضِ مَالٌ، وَمَا مِنْ مَالٍ إِلَّا دُونَهُ يَدُّ شَحِيحَةٍ تَحْوِيهِ، فَمَا يَزَالُ اللَّهُ يَلْطُفُ بِذَلِكَ الطِّفْلِ، حَتَّى تَعْظُمَ رَغْبَةُ النَّاسِ لَهُ. وَلَسْتُ الَّذِي تُعْطِي، بَلِ اللَّهُ تَعَالَى يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ مَا يَشَاءُ. فَإِنْ قُلْتَ إِنَّمَا تَجْمَعُ الْمَالَ لَشَدِيدٍ^٣ السُّلْطَانِ، فَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ عِبرًا فِي بَنِي أُمِّيَّةٍ، مَا أَغْنَى عَنْهُمْ جَمْعُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَمَا أَعْدُوا مِنَ الرِّجَالِ وَالسَّلَاحِ وَالْكَرَاعِ حِينَ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ مَا أَرَادَ. وَإِنْ قُلْتَ إِنَّمَا تَجْمَعُ الْمَالَ لَطَلَبِ غَايَةٍ هِيَ أَجْسَمُ مِنَ الْغَايَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا. فَوَاللَّهِ مَا فَوْقَ مَا أَنْتَ فِيهِ إِلَّا مَنْزِلَةٌ مَا تُدْرِكُ إِلَّا بِخِلَافٍ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. هَلْ تُعَاقِبُ مِنْ عَصَاكَ بِأَشَدِّ مِنَ الْقَتْلِ؟ فَقَالَ الْمَنْصُورُ: لَا. فَقَالَ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِالْمَلِكِ الَّذِي خَوَّلَكَ مُلْكَ الدُّنْيَا، وَهُوَ لَا يُعَاقِبُ مِنْ عَصَاهُ بِالْقَتْلِ وَلَكِنْ بِالْخُلُودِ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ. قَدْ رَأَى مَا عُقِدَ عَلَيْهِ قَلْبُكَ،

^١ بطانتك: المقرَّبِينَ إِلَيْكَ.

^٢ في العقد الفريد: "أَجْهَدَ وَأَخْرَجَ".

^٣ في العقد الفريد: "لَشَدِيدٍ".

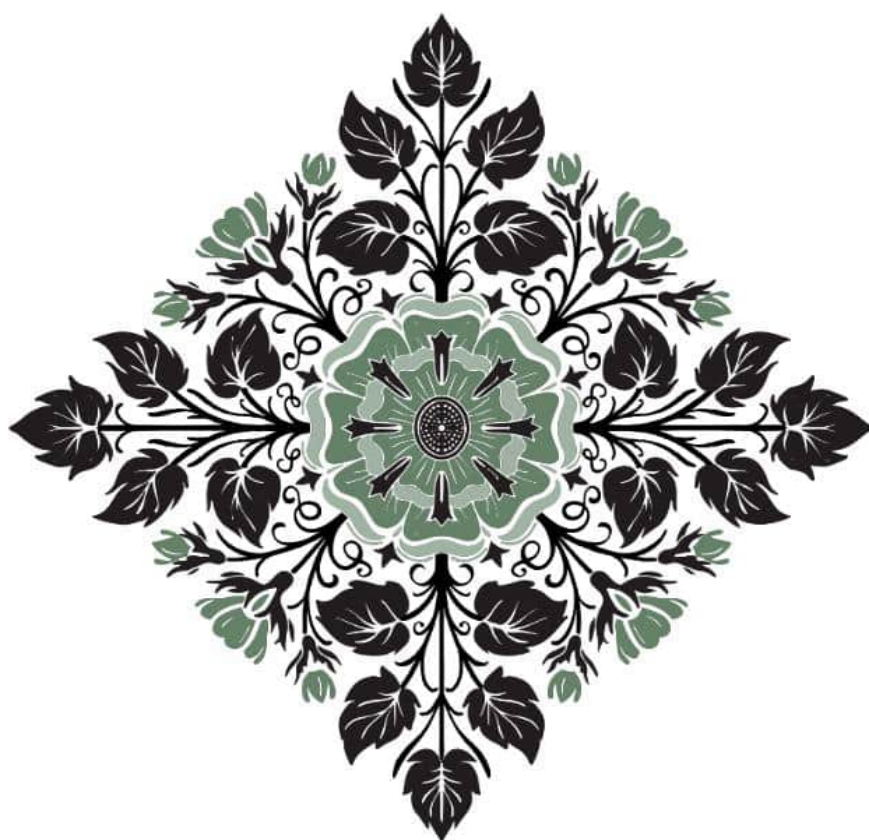


وعملته جوارحك، ونَظَرَ إليه بصرُك، واجتَرَحَتْه يَدَاكَ، ومَشَتْ إليه رجلاك. هل يغني عنك ما شححت عليه من مُلك الدُّنيا إذا انتزعه مِن يَدِكَ ودَعَاكَ إلى الحساب؟ قال: فَبَكَى المنصور، ثم قال: ليتني لم أُخْلَق! ويحك كيف أحتالُ لِنَفْسي؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن للنَّاس أعلامًا يفرعون^١ إليهم في دينهم، ويرضون بهم في دُنياهم، فاجعلهم بطانتك يرشُدوك، وشاورهم في أمرك يُسَدِّدوك. قال: قد بعثت إليهم فهِرَبُوا مِنِّي. قال: خافوك أن تحملهم على طريقتك، ولكن افتح بابك، وسَهِّل حجابك، وانصُر المظلوم، واقمَع الظَّالم، وخُذ الفِئء والصَّدقات على حلها، واقسِمها بالحقِّ والعدلِ على أهلها، وأنا ضامن عنهم أن يأتوك يساعِدوك على صلاح الأُمَّة.

وجاء المؤذنون فأذنوه بالصَّلَاة، فصلَّى وعاد إلى مَجْلِسِه، وطلب الرَّجُل فلم يوجد.^٢

^١ يفرعون: يلجأون.

^٢ انظر: العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، ط ١، ج ٣، ص ١٠٣-١٠٦.





الفصل السادس

في الحثِّ على التَّنَاصُرِ والتَّأَزُّرِ والاستعدادِ للعدوِّ بما يُستطاع من القُوَّةِ والتَّنْبِيهِ على غوائلِهِ

وقَدْ أَحسَّنَ ذلكَ المَعْتَرِضُ في بَعْضِ ما أوردَهُ في هذا المَوْضِعِ، وأساءَ في بَعْضِ، وَجُمْلَةً قَوْلُهُ بِنَصِّ حُرُوفِهِ: فَيَا سَيِّدِي كَانَ اللَّهُ فِي عَوْنِكُمْ، أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَكُونُوا عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ، وَاسْتَعِدُّوا لِلْعَدُوِّ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنَ الْمَقْدُوفَاتِ الْجَهَنَّمِيَّةِ^١، كَهَذِهِ الْمُدَافِعِ السَّرِيعَةِ الطَّلَقَاتِ وَالْدِينَامِيَّتِ^٢ [...] ^٣ وَغَيْرِهَا، فَالْعَدُوِّ إِلَيْكُمْ مُقْبِلٌ. أَوَلَيْسَ احْتِلَاءُ الْبَادِرِيِّ - أَيِ الْقَسِيسِ - بِلَدِّ نَحْلٍ، يَبْنِي وَيَشِيدُ، وَعَنْ قَرِيبِ سِرْفَعِ الصَّلِيبِ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى مُدَافَعَتِهِ، وَأَهْلُ نَحْلٍ كَأَنَّهُمْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِشَيْءٍ، فَهُمْ رِجَالٌ يَقْتُلُونَ وَيَنْهَبُونَ حَيْرَانَهُمْ وَإِخْوَانَهُمْ فِي الدِّينِ وَالْمَذْهَبِ وَالْوَطَنِ وَالْجَنَسِ، وَأَيْدِيَهُمْ عَنْ هَذَا الْقَسِيسِ قَاصِرَةٌ، وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ إِذَا حُلَّ بِمَكَانٍ يَنْتَجِ مِنْهُ الضَّرَرُ، وَلَكِنْ رَأَوْا خَلْفَهُ دَوْلَةً لَهَا صَوْلَةٌ وَبَطْشٌ شَدِيدٌ، فَلِهَذَا تَفَهَّقُوا. أَوَلَيْسَ الْإِنْجِلِيزُ الطَّالِبُ أَنْ يَبْنِيَ فِي جَبَلٍ عَلَى كَسْفَةِ عَيْنِي^٤ مِنَ الرُّسْتَاقِ؟ أَوَلَيْسَ هُوَ الْمُتَكَشِّفُ عَلَى عُثْمَانَ قَرْيَةٍ بَعْدَ قَرْيَةٍ، وَبِأَيْدِيهِ قَرَاتِيْسٌ يَسْبُ فِيهَا مُحَمَّدًا ﷺ وَدِينَهُ، حَتَّى عَمَلَ جُغْرَافِيَا لِيُطْرُقَ قُرَى عُثْمَانَ؛ كَيْلًا يَحْتَاجُ أَحَدٌ إِلَى ذَلِيلٍ، أَوَلَيْسَ بِوَلَجَاتٍ مَسْقُطٍ مَسْجِدٍ مُنَعٍ مُؤَذِّنُهُ عَنِ الْأَذَانِ فِيهِ، وَآخِرُ هُنَاكَ أَيْضًا هُدَّتْ أَرْكَانُهُ، أَوَلَيْسَ؟ أَوَلَيْسَ؟ فَكَمْ أَعْدَدٌ؟ فَيَا سَيِّدِي، عُثْمَانُ بَلِ دِيَارِ الْعَرَبِ

^١ آلةُ الْجَهَنَّمِيَّةِ: جِهَازٌ حَرْبِيٌّ رَهِيْبٌ يَقْضِي عَلَى الْأَنْفُسِ وَالْمَمْتَلَكَاتِ.

^٢ الدِينَامِيَّةُ: مَادَّةٌ مَتَفَجِّرَةٌ.

^٣ هُنَا كَلِمَةٌ مَحْذُوفَةٌ لَمْ أَفْهَمْهَا، وَيُمْكِنُ أَنْ نَفْكَرَ فِي بَدِيلٍ لَهَا كَ "الْبِنَادِقِ" عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ.

^٤ (عَيْنِي) هُوَ اسْمُ الْبَلَدَةِ الَّتِي تَوْجَدُ بِهَا عَيْنُ الْكَسْفَةِ.



فَسَمَّهَا بِيَرَقِ الشَّرِكِ، وَلَا بَدَّ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَأْخُذَ نَصِيْبِهِ، إِذْ لَوْ مُنِعْتُمْ مِنَ الرِّصَاصِ أَوْ الْقَمْعِ، بَلْ وَالْإِبْرَ لَتَعَطَّلْتُمْ، أَمَا هَذَا التَّوَانِي وَالْحَالُ عَلَى التَّعْلِيمِ مَسَاعِفٌ، أَمَا هَذَا الْحُمُولُ وَالْأَخْبَارُ تَتَوَاتَرُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَمِ الْبَارِزَةِ بِالْقَهْرِ وَالْعُدْوَانِ ظُلْمًا وَجَوْرًا قَاضِيَّةً، أَمَا تَكْفِي الْوَقَائِعُ فِي غَيْرِكُمْ؟ تَنْبَهُوا يَا مُسْلِمُونَ مِنْ هَذِهِ الْعَفْلَةِ، وَكُونُوا عَلَى حَذَرٍ، وَشُدُّوا أَيْدِيَكُمْ بِهَذِهِ الصَّنَائِعِ الْجَدِيدَةِ، وَالْغُلُومِ الْعَصْرِيَّةِ، فَإِذَا دَعَا الدَّاعُ فَأَنْتُمْ عَلَى أَمْنٍ، أَمَا عُثْمَانُ فَحَيَاةٌ فَيُصَلُّ وَبَعْدَهُ سَتَرُونَ مَا يَكُونُ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

هَذَا كَلَامُهُ، وَقَدْ أَحْسَنَ فِي التَّحْذِيرِ، لَكِنَّهُ أَسَاءَ فِي التَّعْبِيرِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ ”وَلَا بَدَّ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَأْخُذَ نَصِيْبِهِ“. وَفِيصَلُّ وَإِنْ أَحْسَنَ الْمَدَافِعَةَ الْخَطَابِيَّةَ، فَقَدْ أَهْمَلَ أَسْبَابَ الْحَزْمِ بِأَطْرَاحِهِ عَوَامِلَ الْعَدْلِ وَالْقَائِمَةِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ رَعِيَّتَيْهِ، وَإِغْفَالَهُ عَنْ اسْتِعْمَالِ الصَّنَائِعِ الْمَذْكُورَةِ وَالْآلَاتِ الْمَعْدُودَةِ، وَلَيْتَهُ جَمَعَ الشَّمْلَ، وَأَلَّفَ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ، وَاسْتَعْمَلَ التَّقْوَى فِي جَمِيعِ تَصَرُّفَاتِهِ، فَهِيَ الْحِصْنُ الَّذِي لَا يُرَامُ، وَالسَّيْفُ الَّذِي لَا يُفْلُ، وَمَا قَهَرَ أَسْلَافَكُمْ مُلُوكَ الْأَكَاسِرَةِ وَالْقِيَاصِرَةِ بِكَثْرَةِ عَدِّ وَلَا قُوَّةِ عُدَدٍ، وَإِنَّمَا قَهَرُوهُمْ بِاسْتِعْمَالِ التَّقْوَى، وَحُسْنِ الصَّبْرِ، وَقُوَّةِ الْيَقِينِ، فَلَوْ تَمَسَّكْتُمْ بِسِيرَتِهِمْ ظَفَرْتُمْ بِمَا ظَفَرُوا. وَأَذْكَرُ لَكُمْ هُنَا قِطْعَةٌ مِنْ كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى عَامِلِهِ عَلَى حُرُوبِ الْفَرَسِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَجْنَادِ، قَالَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -:

أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنِّي أَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ بِتَقْوَى اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ؛ فَإِن تَقْوَى اللَّهُ أَفْضَلُ الْعُدَّةِ عَلَى الْعُدُوِّ، وَأَقْوَى الْمَكِيدَةِ فِي الْحَرْبِ، وَأَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاسًا مِنَ الْمَعَاصِي مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، فَإِن ذُنُوبَ الْجَيْشِ أَخَوْفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ، وَإِنَّمَا يُنْصَرُّ الْمُسْلِمُونَ بِمَعْصِيَةِ عَدُوِّهِمْ لِلَّهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ؛ لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ، وَلَا عُدَّتُنَا كَعُدَّتِهِمْ، فَإِن اسْتَوَيْنَا فِي الْمَعْصِيَةِ كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ، وَإِلَّا نُنْصَرِّ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ نَغْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا. وَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي سِيرَتِكُمْ حَقْفَةً مِنْ اللَّهِ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ، فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ، وَلَا تَعْمَلُوا بِمَعَاصِي اللَّهِ وَأَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ وَلَا تَقُولُوا إِن عَدُوَّنَا شَرُّ مَنْ فُلَانٍ يُسَلِّطُ عَلَيْنَا؛ فَرُبَّ قَوْمٍ سُلِّطَ عَلَيْهِمْ شَرُّ مِنْهُمْ، كَمَا



سَلَّطَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا عَمَلُوا بِمَسَاخِطِ اللَّهِ كُفَّارَ الْجَوْسِ ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ وَكَانَ وَعْدًا مُفْعُولًا ﴿[الإسراء: هـ]﴾. وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَوْنَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ. أَسْأَلُ اللَّهَ ذَلِكَ لَنَا وَلَكُمْ.^١

إِلَى آخِرِ مَا أَوْدَعَهُ مِنَ النَّصِيحَةِ الْبَلِيغَةِ، وَالسِّيَاسَةِ الْعَمِيقَةِ، وَمُصَدِّقِ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، فَهَذِهِ عُدَّةٌ مِّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، مُقَدِّمَةٌ عِنْدَهُمْ عَلَى كُلِّ عُدَّةٍ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَعْدُونَ لِعَدُوِّهِمْ مَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قُوَّةٍ.

وَهَذِهِ صِفَتُهُمْ فِي كِتَابِ كَتَبَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى مَرَاذِيَةِ^٢ فَارِسَ مَعَ ابْنِ ثُقَيْلَةَ الْغَسَّانِيِّ، قَالَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّ حُرْمَتَكُمْ^٣، وَفَرَّقَ جَمْعَكُمْ، وَأَوْهَى بِأَسْكُمْ، وَسَلَبَ مُلْكَكُمْ، وَأَذَلَّ عِزَّكُمْ؛ فَإِذَا أَتَاكُمْ كِتَابِي هَذَا فَابْعَثُوا إِلَيَّ بِالرَّهْنِ، وَاعْتَقِدُوا مِنَّا الذِّمَّةَ، وَأَجْبِئُوا إِلَى الْجِزْيَةِ، وَإِلَّا وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لِأَسِيرِنَّ إِلَيْكُمْ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ كَمَا تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ، وَيَرْغَبُونَ فِي الْآخِرَةِ كَمَا تَرْغَبُونَ فِي الدُّنْيَا.^٤

^١ انظر: العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، ط ١، ج ١، من عمر إلى ابن أبي وقاص، ص ١١٧.

^٢ مراذبة جمع، مفردا مَرْزِيَانُ، هُوَ - بِضَمِّ الرَّايِ - أَحَدُ مَرَاذِيَةِ الْفُرسِ، وَهُوَ الْفَارِسُ الشُّجَاعُ الْمُقَدَّمُ عَلَى الْقَوْمِ دُونَ الْمَلِكِ، وَهُوَ مَعْرَبٌ.

^٣ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ: حَزَمْتَكُمْ.

^٤ انظر: العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، ط ١، ج ١، من خالد إلى مراذبة فارس، ص ١١٦-١١٧. وَهُوَ كِتَابٌ أَرْسَلَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى هَرَمَزَ، الْحَاكِمِ الْفَارِسِيِّ عَلَى وِلَايَةِ "دَاوَسْتِ مِيزَانَ" وَذَلِكَ قَبْلَ مَعْرَكَةِ السَّلَاسِلِ.



وكان خالد يومئذ أميراً لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - على حرب العراق، وهو الذي أوقع بالفرس الواقعة العظيمة في الأنبار، قيل قتل فيها من الفرس مائة ألف، وكان ذلك قبل أن يتولَّى حروب الشام^١.

فبهذه الصفات اتصفوا، وبهذه الأحوال تواصلوا، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وما ذكرت من أمر التناصري في عُمان، وتكشفهم على القرى والبلدان، وما حاولوا في ذلك من البنيان، ومن هدم المسجد وتعطيل الأذان، ومن سب خير البشر - عليه أفضل الصلاة والسلام -، فذلك أمر فظيع، وحال شنيع لو وقع، نسأل الله العافية ما سمعنا به قبل كتابك، فإن صحَّ ذلك فعله وقع في الأطراف الغربية، أما السب فما أظن وقوعه؛ لأنَّ الأجانب لا يدخلون عُمان إلا بخفر من المسلمين، ولحاجتهم إلى ذلك يحترمون صاحبهم، فلا يذكرون عنده ما يكره، وللقوم دهاء هائل. والعجب منك كيف تذكر ذلك لنا وتدع الملك، فهو أولى بالتنبيه في ذلك ويديه أزمّة الأمور، فلو استقام استقمنا، ولو طلب المناصرة [على الأعداء]^٢ ناصرنا، فالله المستعان.

وكأنك قد حشيت على عُمان من العدو المقبل، وحق على كل مؤمن أن يخشى ذلك، غير أن قلوبنا وإن خافت من شوم ذنوبنا، ساكنة مطمئنة إلى إجابة ربنا لدعوة نبيه لنا أن لا يُسلِّط علينا عدواً من غيرنا، فإننا نجد في التواريخ المكنونة، والأخبار المصونة أنَّ مازن بن غضوبة الطائي السَّمَّالِي وكان أوَّل من أسلم من أهل عُمان فيما يظهر من سياق التاريخ، وقد على النبي ﷺ في أول أمره بالمدينة، فأسلم على يديه، وقال: يا رسول الله، ادعُ الله تعالى لأهل عُمان، فقال: «اللهم اهدهم وأبهم»، فقلت: زدني،

^١ أحسن من بحث في عبقرية خالد العسكرية هو الجنرال أ. أكرم في كتابه: (سيف الله خالد بن الوليد دراسة عسكرية تاريخية عن معاركه وحياته).

^٢ زيادة من (ب) و(ه).



يا رسول الله، فقال: «اللهم ارزقهم العفاف والكفاف والرضى بما قَدَّرتَ لهم»، قلت: يا رسول الله، البحر يَنْضَحُ بجانبنا، ادْعُ الله في ميرتنا وحُفْنَا وظَلْفُنَا^١، قال: «اللهم وسِّع عليهم في ميرتهم، وأكثر خيرهم من بحرهم»، قلت: زدني، قال: «اللهم لا تُسَلِّطْ عليهم عدوًّا من غيرهم، قل يا مازن: آمين، فإنَّ آمين يُسْتَجَابُ عنده الدعاء»، قال: قلت: آمين، قال: قلت: يا رسول الله إني مُولَعٌ بالطَّرب، وبشُّرب الخمر، لجوج بالنساء، وقد نَفِدَ أكثر مالي في هذا، وليس لي ولد، فادْعُ الله أن يُذهب عني ما أجد، ويهب لي ولدًا تَقَرَّ به عيني، ويأتينا بالحيا^٢، فقال النبي ﷺ: «اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن، وبالحرّام الحلال، وبالعهرة عِقة الفرج، وبالخمر ريًّا لا إثم فيه، وأتّم بالحيا، وهب له ولدًا»، قال مازن: فأذهب الله تعالى عني ما كنت أجد من الطرب والنشاط لتلك الأسباب، وحججتُ حَجَجًا، وحفظتُ شطر القرآن، وتزوَّجت أربع عوائل من العرب، وورّقت ولدًا سمّيته حَيَّان بن مازن، وأخصّبت عُمان في تلك السّنة وما بعدها، وأقبل عليهم الحُفّ والظِّلْف، وكثُر صيد البحر، وظهرت الأرباح في التّجارات، وآمنَ عددٌ من أهل عُمان. ولما زُن في ذلك شعر حيث يقول: ^٣

إليك رسول الله خبّت^٤ مَطِيَّتِي تجوب الفَيافي من عُمانَ إلى العُجْجِ
لِتَشْفَعَ لي يا خير من وَطئِ الحَصَى فيغفرَ لي ربّي وأرجعَ بالفُلْجِ^٥
إلى معشرٍ خالفت في الله دينهم فلا رأيهم رأيي ولا شرّجهم شرّجي^٦

^١ علق عليها محقق كتاب الأنساب للعتوبي: "يريد الحيوانات ذات الحفّ وذات الظلف، أي الظفر".

^٢ جاء في لسان العرب: "الحَيَا، مقصور: الخصب، والجمع أحياء. وقال اللحياني: الحَيَا، مقصور: المطر". ويُمَيِّي المطر بالحَيَا؛ لأنّه تحيا به الأرض بعد موتها.

^٣ انظر: كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب، م، ١، ابن عبد البر، حرف الميم، باب مازن، رقم ٢٢٤٥، ص ١٣٤٤.

^٤ حَبَّ الْفَرَسِ: نَقَلَ أَيْامَهُ وَأَيَّاسَهُ جَمِيعاً فِي الْعُدُوِّ.

^٥ الْفُلْجُ: الظَّفَرُ وَالْفَوْزُ (لسان العرب).

^٦ الشَّرْجُ: الضَّرْبُ؛ يُقَالُ: هُما شَرَجَ واحِدًا، وَعَلَى شَرَجٍ واحِدٍ أَي ضَرَبَ واحِدٍ (لسان العرب). وجاء في حاشية النسخة (ب): يُقَالُ: لَيْسَ هُوَ مِنْ شَرَجِهِ أَي مِنْ طَبَقَتِهِ وَشَكْلِهِ. (وهو مأخوذ من لسان العرب)



وَكُنْتُ أَمْرًا بِاللَّهُوِ وَالْخَمْرِ مُوَلَّعًا شَبَابِي حَتَّى آذَنَ الْجِسْمُ بِالنَّهْجِ^١
فَبَدَّلَنِي بِالْخَمْرِ خَوْفًا وَخَشْيَةً وَبِالْعَهْرِ إِحْصَانًا فَحَصَّنَ لِي فَرْجِي
فَأَصْبَحْتُ هَمِّي فِي الْجِهَادِ وَنَيْتِي فَلَلَهُ مَا صَوَّمِي وَلِلَّهِ مَا حَجَّي

قال مازن: فلمَّا كان في العام القابل وفدت على رسول الله ﷺ، فقلت: يا المبارك ابن
المباركين، الطَّيِّب ابن الطَّيِّبين، قد هدى الله قوما من أهل عُمان، وَمَنْ عَلَيْهِمُ بَدِينُكَ،
وقد أخصبت عُمان خِصْبًا هَنِيئًا، وكثرت الأرياح والصَّيْدُ بها، فقال عليه السلام: «ديني
دين الإسلام، سيزيد الله أهلَ عُمان خِصْبًا وَصَيِّدًا، فطُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَرَأَى، وَطُوبَى
لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرَنْ، وَطُوبَى ثَمَّ طُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرَنْ وَلَمْ يَرِ مِنْ رَأْيِي، وَإِنَّ اللَّهَ سَيَزِيدُ
أَهْلَ عُمان إِسلامًا»^٢.

هذا حديث مازن المكنون المصون، وما زال أثر الإجابة ظاهرًا على عُمان وأهلها، فلم
ينزع الله أمرهم من أيديهم على اختلاف الدُّول وتعدد القُرون، فظَهَرَتْ فِيهَا قُوَّةُ
الإسلام، وَنُصِبَتْ فِيهَا الْأَئِمَّةُ الْعَادِلُونَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَمْثَالِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ فَضْلًا
وَسِيَاسَةً لَوْلَا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ الْعَمْرَيْنِ^٣ مِنْ صُحْبَةِ نَبِيِّهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

^١ وَفِي شِعْرِ مَازِنٍ: حَتَّى آذَنَ الْجِسْمُ بِالنَّهْجِ. وَقَدْ تَجَسَّعَ الثَّوْبُ وَالْجِسْمُ إِذَا بَلِيَ. وَأَتَمَّجَهُ الْبَلَى إِذَا أَخْلَقَهُ (لسان
العرب).

^٢ انظر القصة في كتاب الأنساب، العلامة أبي المنذر العوتبي الصحاري، ج ١، ص ٣٠٠-٣٠٢.

^٣ قيل: قولهم: «سنة العمرين» إنما هما: «أبو بكر» و«عمر»، وهكذا كلام العرب إذا كان الشيء مع غيره فرميا
سموهما جميعًا باسم أحدهما. وقيل: إن العمرين: «أبو بكر» و«عمر» - رحمهما الله - وَلَيْسَ قَوْلٌ مِنْ يَقُولَ: إِنَّهُمَا
«عمر بن الخطاب» و«عمر بن عبد العزيز» بِشَيْءٍ، إِنَّمَا هَذَا مِنْ قَلَّةِ الْمَعْرِفَةِ بِالْكَلامِ، وَإِنَّمَا قَالُوا: «العمرين» فِيمَا
نَرَى، وَلَمْ يَغْلِبُوا «أَبَا بَكْرٍ» وَهُوَ الْمُتَقَدِّمُ عَلَى «عَمْرٍ»؛ لِأَنَّهُ أَخْفَى فِي اللَّفْظِ مِنْ أَنْ يَقُولُوا: «أَبُو بَكْرَيْنِ»، وَأَصَحُّ
فِي الْمَعْنَى، وَإِنَّمَا شَأْنُ الْعَرَبِ مَا خَفَى عَلَى أَلْسِنَتِهَا مِنَ الْكَلَامِ. وَقَدْ حَدَّثَنِي الْفَرَّاءُ مَعَ هَذَا عَنْ مَعَاذِ الْهَرَاءِ كَانَ يَتَّبِعُ
الْهَرَوِيَّ وَكَانَ ثِقَةً، قَالَ: لَقَدْ قِيلَ: سَنَةُ الْعَمْرَيْنِ قَبْلَ خِلَافَةِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. انظر: كتاب غريب الحديث، أبو
عبيد القاسم بن سلام، ط الهندية، ج ٤، ص ٣٢١.



وقد تدخّلت النَّصارى أكثر من هذا التدخّل قبل ظهور الإمام المؤيد ناصر بن مُرشد^١ - رضي الله عنه -، فمَلَكُوا من سَوَاحِلِ الْبَحْرِ مَسْكَدًا^٢ وقرىات وصور، وجانبًا من صحار، وجلفار^٣ وهي الصير، وهي بلد كانت حجة في عمان وخربت الآن، وهي أقصى عمان من الجانب الغربي الشمالي ومن هاهنا كانوا يقولون لمن مَلَك عُمان بأسرها: مَلَكها من صور إلى الصير. فأزال الله أمر أولئك النَّصارى قبل أن يَتَسَلَّطُوا على أهل عُمان بِظُهور ذلك الإمام العادل، ثم تَتَابَعَت خُلَفَاؤُهُ الراشدون فبذلوا المجهود في مُطَارَدَةِ النَّصارى، وأزاحوهم من الأماكن القريبة، وطَلَبُوهُمْ من النَّوَاحِي الْبَعِيدَةِ، ورصدوا لهم كل مَرَصِد، وَضَيَّقُوا عَلَيْهِم المسالك، فانطَمَسَ ذِكْرهم، وانفَشَعَ أمرهم، وبلغت قُوَّة الإسلام في تلك الأيام أن اجتمعت في الجيش الذي دَخَلَ به الإمام سيف بن سلطان^٤ أرض الهند ستة وتسعون ألف عَنان، فهذا ونحوه من بَرَكَاتِ دَعْوَةِ مُحَمَّد ﷺ وهو يطمعنا في القُوَّة بعد الضَّعْف، وفي الاجتماع بعد الفرقة، وفي الظُّهور بعد الكتمان.

^١ الإمام ناصر بن مرشد هو أول إمام من أسرة البعاري، وقد اختارته الأمة لإمامتها وبايعته عليها (١٠٣٤هـ - ١٠٥٩هـ) حين وجدته رجلاً المنشود، وقد استطاع الإمام بعد حروب طويلة وجهود مضيئة أن يوحد البلاد تحت قيادته وأن يسير بها ليناوش البرتغاليين القابعين آنذاك في مواني البلاد وسواحلها، فنال منهم الشيء الكثير واستخلص منهم قلعات وصحار وحاصر ميناء مسقط، ولكن الأجل المحتوم وافاه قبل أن يستطيع إجلاء المحتلين عن كل البلاد. انظر: سيرة الإمام ناصر بن مرشد، بقلم عبد الله بن خلفان بن قيصر، وزارة التراث والثقافة، ط٣، ص١٠.

^٢ مسقط قديماً.

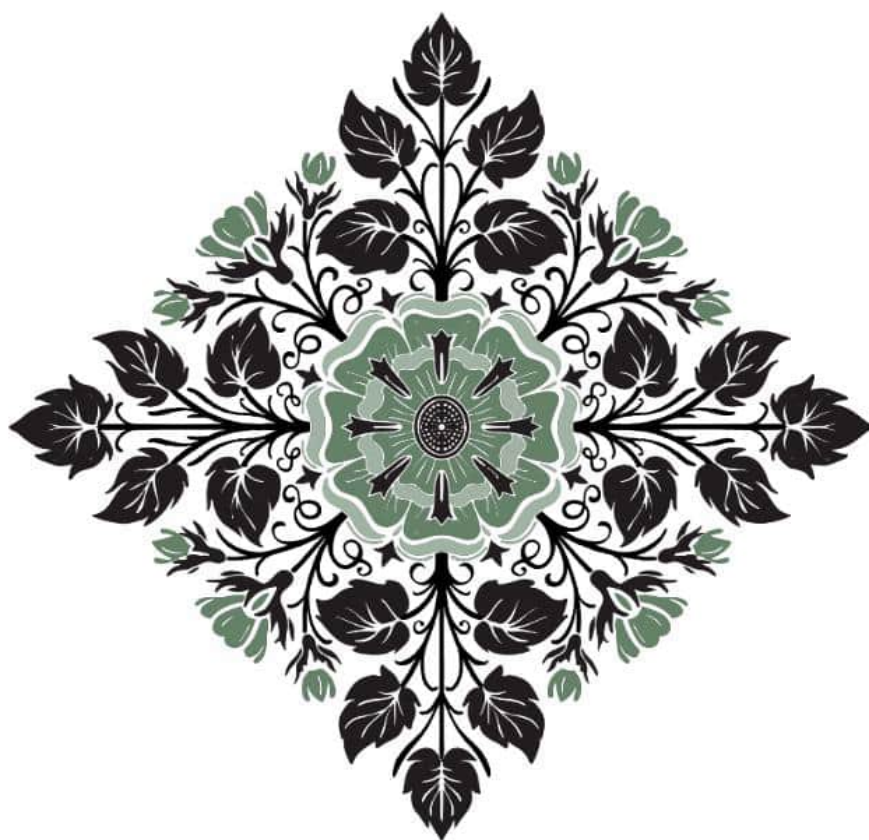
^٣ ”جلفار، بجيم معجمة فلام ففاء فألف وراء مهملة، واشتهرت جلفار باسم رأس الخيمة“. انظر: إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، الشيخ سالم السيبي، ص ١١٢.

^٤ من أئمة الإباضية في عُمان. وهو رابع البعريين. لقب بقيد الأرض لضبطه الممالك وتقييده البلاد بعدله، وكان شجاعاً هماماً، حارب النصارى في جميع الأقطار، وعمل لهم مراكب عظيمة في البحر، واجتمع له أسطول جهزه بأضخم المدافع في عصره، وعظم جيشه وقوي سلطانه. وعاشت الرعية في ظل عدله في أرغد عيش وأنعم بال، وعمر عُمان كثيراً، وأجرى فيها الأنهار، وغرس فيها النخل والأشجار.

انظر: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، الإمام نور الدين السلمي، مكتبة الاستقامة، ج٢، ص ١٠٥.



يَا مَنْ يَحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، أَحْيِ الْقُلُوبَ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَاَفْتَحِ الْبَصَائِرَ، وَأَيِّقِظِ
الْهَمَمَ، وَقَوِّ الْعَزَائِمَ، وَاجْمَعْ الشَّمْلَ، وَوَحِّدِ الْكَلِمَةَ، وَأَظْهِرِ الْأَمْرَ، وَانصُرِ الدِّينَ،
آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.





الخاتمة

فيها تنبيهان:

الأول - في التحذير من مطبوعات النصارى ونحوها:^١

قال النّبّهاني: يوجد في بيروت مطبعة للرهبان اليسوعيين، طبعوا فيها كثيراً من الكتب والمجاميع الأدبية، التي جمعوها من كتب المسلمين، ولكنهم لَعدم أمانتهم في النقل، أزالوا من الكتب التي نقلوا منها العبارات التي فيها تأييد لدين الإسلام، وتعظيم لرسول الله سيدنا محمد - عليه أفضل الصّلاة والسّلام -، فمن ذلك أنّهم طبعوا كتاب (فقه اللغة)، فأزالوا خطبته بالكلية، لما فيها من تعظيم الحضرة المحمدية عليها من الله أفضل صلاوة وأكمل تحية.

ومن ذلك أنّهم طبعوا كتاب (الألفاظ الكتابية) فغيّروا وبدّلوا في عباراته في محلات كثيرة، فإذا قال: كما قال الله تعالى، يُغيّرون عبارته بقولهم: كما قال القائل، أو كما قيل وهكذا. وجمّعوا مجموعاً كبيراً عدّة أجزاء، أكثرها من كتب المسلمين، وحذفوا من عباراتهم ما يتعلّق بتعظيم دين الإسلام، وتَفخيم حبيب الرّحمن سيدنا محمّد - عليه الصّلاة والسّلام -، بل أبدّلوا في بعض الأحيان عبارات علماء المسلمين الصحيحة

^١ نقله الإمام - بتصريف يسير - من كتاب النبهاني الذي سبقت الإشارة إليه، من الفصلين: السابع والثلاثين، والثامن والثلاثين، ص ٩٦-١٠١.



المليحة، بعباراتهم الفاسدة القبيحة، وذلك فيما يتعلّق بشؤون سيّد المرسلين، ودينه المبين، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال: فأنا أحذر جميع المسلمين من الكتب المطبوعة في المطبعة اليسوعية في بيروت، ولو كانت من كتب وتأليف المسلمين، فضلاً عن مجاميعهم التي جمعوها وطبعوها، مثل المجموع الذي سَمّوه (مجاني الأدب) في عدّة أجزاء، فإنهم لا أمانة لهم في النّقل، يحرفون الكلم عن مواضعه، ويمزجون مضارّة بمنافعهم، ويضعون السمّ في الدسم، ويدلون الصّحة بالسمّ، فإنّك أيها المسلم أن تشتري شيئاً من كتبهم، فإنّي والله ما أخبرتك إلا عن علمٍ ويقين، لا عن ظنٍّ وتخمين، وإذا رأيت بعض التّقاريط^١ باسم بعض علماء المسلمين على بعض كتبهم، فلا تبعأ بها، فإنهم إذا ثبتت تصرّفهم في نفس تلك الكتب بالتحريف والتّبديل، وحذف ما لا يوافق مذهبهم، وإثبات ما يوافقهم، وإن خالف دين صاحب ذلك الكتاب، فما يمنعمهم من التّصرف في التّقاريط على حسب هواهم وما يوافق مصلحتهم! فالحذر من كتبهم الحذر، وها أنا أنذرتك أيّها المسلم، وقد أعذر من أنذر.

ثم حذر بعد ذلك من قراءة بعض الكتب الممزوجة بالكذب كنهج البلاغة، قال: فإنّ بعض المدارس الإسلامية تُقرّئه للتلاميذ بقصدٍ تدريبتهم على البلاغة والفصاحة، فيخشى عليهم أن يثبت في نفوسهم لصغرهم شيء من معاني التشيع والرفض. قال: أما نسبة الكتاب المذكور لسيدنا علي بن أبي طالب فهي نسبة كاذبة غير صحيحة.

قال الحافظ الذّهبي في كتابه (ميزان الاعتدال) كما في (كشف الظنون): ومن طالع كتاب (نهج البلاغة) جزم بأنّه مكذوب على عليّ بن أبي طالب، فإنّ فيه السّب الصّريح والخطّ على السيّدين أبي بكرٍ وعمر - رضي الله عنهما -، اهـ.^٢

^١ تقرّيط: مدح، ثناء، إظهار المحاسن. وتقرّيط كتاب: وصف محاسنه ومزاياه.

^٢ انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، ٢م، حرف النون، نهج البلاغة، ص ١٩٩.



وهو جمع الشريف الرضي أو الشريف المرتضى كما قاله ابن خلكان وهما من رؤوس الشيعة.^١ ولا شك أن كثيرا من عبارات هذا الكتاب هي من كلام سيدنا علي، كما أن كثيرا من عباراته مكذوبة عليه، فينبغي اختصاره بحذف سيئاته، وإثبات حسناته، وحينئذ تستحسن قراءته في المدارس والدروس، وتطيب به الأرواح والثفوس، أما الآن وقد اختلط فيه الحق بالباطل فلا تجوز قراءته لأولاد المسلمين البتة.

قال: ومن المنكر الذي يجب إنكاره ومنعه ما يفعله الأعاجم في بلاد العراق، من إرسال جماعة من علمائهم موظفين من طرفهم لإغواء المسلمين ببيت عقائد الرّفص والتشيع بينهم، وهم منذ سنين كثيرة اعتادوا على هذا العمل المضّر، وصاروا يطوفون في القرى والعشائر حتى ترفّض بسببهم جماهير من الأعراب وأهل القرى في بلاد العراق، فليحذرهم المسلمون.

قلت: وكذلك يجب الإنكار على الدعاة الذين يدعون الناس إلى ترك مذهب أهل الاستقامة ويزيّنون لهم التّمذهب بأحد المذاهب الأربعة، فإنّ الأربعة ونحوها كلّها مذاهب محدّثة مُبتدعة والحق ما عليه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون من بعدهم وتابعوهم الذين لم تمل بهم الأهواء ولا غرّتهم البيضاء والصّفراء ألا وهم أهل الاستقامة في الدّين الذين بدّلوا مُهجّهم وجادوا بأرواحهم وأفنوا أشباحهم في رضاء ربّ العالمين.^٢

^١ "قال ابن خلكان: اختلف الناس فيه، هل هو للشريف أبي القاسم علي بن طاهر المرتضى جمعه من كلام علي بن أبي طالب أم جمعه أخوه الشريف الرضي البغدادي، وقد قيل أنه ليس من كلام علي، انتهى". انظر: المصدر السابق.

^٢ حتى لا تفهم هذه القسوة التي أظهرها الإمام في حديثه هذا بصورة خاطئة، فتتخذ هي الأصل، ويترك ما هو سائد في كتبه - رحمه الله - من احترام المذاهب الإسلامية الأخرى، والاستفادة منها، بالإضافة إلى العدل والإنصاف والحوار الهادئ ومقابلة الدليل بالدليل والحجة بالحجة، فإنه من الواجب أن نشير هنا إلى أن انتماء الإمام - رحمه الله - للمذهب الإباضي لم يمنعه من الاستفادة من آراء علماء المذاهب الإسلامية الأخرى، ويظهر ذلك في كتبه الفقهية خاصة، إذ لا تكاد تخلو إحدى الصفحات في كتبه الفقهية من استعراض آراء العلماء ذوي المذاهب المختلفة، حتى إن غير المتمرس قد يظنها آراء لعلماء من مذهب واحد. وهذه هي السمة الغالبة في كتبه=



التَّنبِيه الثَّانِي - فِي الطَّرِيقِ لِتَهْذِيبِ الْأَطْفَالِ: ١

وذلك أن الصَّبِي أمانة عند والديه، وَقَلْبُهُ الطَّاهِرُ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ خَالِيَةٌ عَنْ كُلِّ نَقْشٍ، ومَائِلٌ إِلَى كُلِّ مَا يُمَالُ بِهِ إِلَيْهِ، فَإِنْ عُوِّدَ الْخَيْرَ وَعُلِّمَهُ نَشْأً عَلَيْهِ، وَسَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَشَارَكَهُ فِي ثَوَابِهِ أَبَوَاهُ وَكُلُّ مُعَلِّمٍ لَهُ وَمُؤَدِّبٍ. وَإِنْ عُوِّدَ الشَّرَّ وَأُهْمِلَ إِهْمَالُ الْبَهَائِمِ، شَقِيَ وَهَلَكَ، وَكَانَ الْوَزَرُ فِي رَقَبَةِ الْقِيَمِ عَلَيْهِ وَالْوَالِي لَهُ؛ لِتَضْيِيعِهِمْ أَمَانَتَهُمْ، وَتَرْكِهِمْ أَمْرَ رَبِّهِمْ فِي قَوْلِهِ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦]. وَمَهْمَا كَانَ الْأَبُ يَصُونُهُ عَنْ نَارِ الدُّنْيَا، فَبَأَن يَصُونُهُ عَنْ نَارِ الْآخِرَةِ أُولَى. وَصِيَانَتُهُ أَنْ يُؤَدِّبَهُ وَيُهْدِّبَهُ، وَيُعَلِّمَهُ مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ، وَيُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ، وَلَا يَعُوِّدُهُ التَّنْعُمَ، وَلَا يَجِبُّ إِلَيْهِ الرِّبْزَةُ وَأَسْبَابُ

= ولكنه في أحيان نادرة يكون كلامه شديداً وحكمه قاسياً، وهذا الأسلوب الحاد إذا وضعناه في إطاره الزمني قد يكون مسائراً للتعصب المذهبي السائد.

ثم إن الإباضية - والسلمية منهم - وإن اعتقدوا أن مذهبهم هو الإسلام بعينه، إلا أنهم لم يدعوا يوماً العصمة المطلقة من أي خطأ؛ لذلك لا يستنكفون عن الأخذ من مصادر كل المذاهب الإسلامية الأخرى، والحق مقبول من كل من جاء به، مهما كان مذهبه أو انتماءه، وهو القائل - رحمه الله -: ”ثم تجدنا نقبل الحق ممن جاء به وإن كان بغیضا، ونرد الباطل على من جاء به وإن كان حبيبا“. هذا بالإضافة إلى أن كل أصحاب المذاهب الأخرى يعتقدون في مذهبهم نفس الاعتقاد، وهو أن مذهبهم هو الإسلام النقي الصافي، ولا يترددون في تبديع الإباضية - خاصة - فضلا عن تكفيرهم.

وعلى كل حال، فنحن في هذا العصر بأمر الحاجة إلى أن نترك المذهبية المقيتة التي فرقت الأمة وأهلكتها، ندعو إلى المبدأ الذي دعا إليه الشيخ علي يحيى معمر في قوله: ”وإنما تتحطم المذهبية بالمعرفة والتعارف والاعتراف، فبالمعرفة يفهم كل واحد ما يتمسك به الآخرون، ولماذا يتمسكون به. وبالتعارف يشتركون في السلوك والأداء الجماعي للعبادات. وبالاعتراف يتقبل كل واحد منهم مسلك الآخر برضى، ويعطيه مثل الحق الذي يعطيه لنفسه: (اجتهد فأصاب أو اجتهد فأخطأ)“.

نقل - ببعض تصرف وزيادة - من كتاب الشيخ نور الدين السالمي مجدد أمة، ومحبي إمامة، مصطفى بن محمد شريفی، ص ٢٤٠.

١ نقله الإمام - بتصريف يسير - من كتاب النبهاني، الفصل الأول، ص ٢٣، وجاء في بداية الفصل قوله: ”في بيان الطريق لتأديب أولاد المسلمين في أول نشوهم. قد جمعت هذا الفصل من كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق من (إحياء علوم الدين) للإمام الغزالي، وقد ذكر في تهذيب الصبي نفائس أخرى فليراجعها من شاءها وإنما اقتصرنا منها على ما يلزم هنا“. انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، لجنة نشر الثقافة الإسلامية، ج ٨، كتاب رياضة النفس، بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم، ص ١٣٠.



الرّفاهية، فيضيّع عمره في طلبها إذا كبر، فيهلك هلاك الأبد، بل ينبغي أن يُراقبه من أوّل أمره، فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأةً صالحةً مُتديّنةً تأكلُ الحلال، فإنّ اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشو الصبيّ انعجنت طينته من الخبث، فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث.^١

ومهما رأى فيه مخايل^٢ التّمييز، فينبغي أن يحسن مراقبته، وأوّل ذلك ظهور أوائل الحياء، فإنّه إذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الأفعال، فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه، حتى يرى بعض الأشياء قبيحاً ومخالفاً للبعض، فصار يستحي من شيء دون شيء، وهذه هديّة من الله تعالى إليه، وبشارة تدلّ على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب، وهو مبشّر بكمال العقل عند البلوغ، فالصبيّ المستحي لا ينبغي أن يُهمل، بل يُستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه.

ثم يشغل في المكتب، فيتعلّم القرآن، وأحاديث الأخبار، وحكايات الأبرار وأحوالهم؛ لينعّس في نفسه حبّ الصّالحين، ويُنمّع من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله، ومن مخالطة الأدباء الذين يزرعون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع، فإن ذلك يغرس في قلوب الصّبيان بذور الفساد.

^١ ”كل شيء يجوز تأخير ما خلا شيئاً واحداً وهو إعداد أبنائكم لمعترك الحياة إعداداً مستكملاً وجوه الخير، حتى إذا انتهوا من الدراسة خرجوا إلى عالم العمل بارعين في إدارة الأمور التي تحتاج الأمة إليها، مراقبين حركة التقدم في الأعمال التي يتولونها، أوفياء لدينهم... ولا يكون هذا إلا إذا عزم الأوفياء للإسلام على أن يعدوا أنفسهم لتهديب النشء الإسلامي كما أعدّ قسس الفريز والجزويت أنفسهم لتهديب النشء النصراني، فإن لم نفعل أو على الأقل إن لم نبدأ من الآن بإعداد أنفسنا لذلك لا تثمر لنا المدارس الحاضرة إلا هذا النوع من التمر المز الذي نشكو مذاقه“. انظر: المنهاج مجلة علمية سياسية اجتماعية، المجلد الثاني، ط ١، أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، مكتبة الضامري، ص ٩٢٣-٩٢٤.

^٢ مخايل: دلالات وعلامات.



ويُمنع من لغو الكلام وفحشه، ومن اللعن والسب، ومن مُحالطة مَنْ يجري على لسانه شيءٌ من ذلك، فإن ذلك يسري لا محالة من قُرءاء السُّوء، وأصل تأديب الصِّبيان الحفظ من قُرءاء السُّوء.

ومهما بلغ سنَّ التَّمييز، فينبغي أن لا يُسامح في ترك الطَّهارة والصَّلَاة، ويُؤمر بالصَّوم في بعض أيَّام رمضان، ويحْتَنَب لبس الحرير والديباج والذهب، ويُعلَّم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع، ويُخَوَّف من السرقة وأكل الحرام، ومن الخيانة والكذب والفحش، وكل ما يغلب على الصِّبيان.

فإذا وَقَعَ نشوؤه كذلك في الصِّبَا فمهما قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور، فيذكر له أن الأطعمة أدوية، وإِنَّمَا المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على طاعة الله عز وجل، وأن الدُّنيا كلها لا أصل لها؛ إذ لا بقاء لها، وأن الموت يقطع نعيمها، وأَنَّ دار ممر لا دار مقر، والآخرة دار مقر لا دار ممر، وأن الموت منتظرٌ في كل ساعة، وأنَّ الكيس العاقل من تزوّد من الدنيا للآخرة، حتى تعظم درجته عند الله تعالى، ويتسع نعيمه في الجنان.

فإذا كان النشوُّ صالحاً، كان هذا الكلام عند البلوغ واقعاً مؤثراً ناجعاً، يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر. وإن وقع النشوُّ بخلاف ذلك، حتى أَلِفَ الصِّبْي اللعب والفحش والوقاحة وشرّة الطعام واللباس والتزُّين والتَّفَاخر، نبا^١ قلبه عن قبول الحقِّ نبوة الحائط عن التراب اليابس. فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تُراعى، فإن الصِّبْي بجوهره خُلِقَ قابلاً للخير والشر جميعاً، وإِنَّمَا أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين. قال ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَإِنَّمَا أَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يُنَصْرَانِهِ أَوْ مُجَسَّسَانِهِ»، اهـ.

وهو كلام اختصره النَّبَهَانِي من كلام الغزالي وتصرَّفَتْ في بعضه. قال النَّبَهَانِي: فانظر كيف مَنْع^٢ تعليم أولاد المسلمين في حين تأديبهم في صغرهم الأشعار التي فيها ذكر

^١ التَّهْذِيبُ: نَبَأُ الشَّيْءِ عَنِّي يَنْبُو أَيُّ نَجَافٍ وَتَبَاعَدٍ.

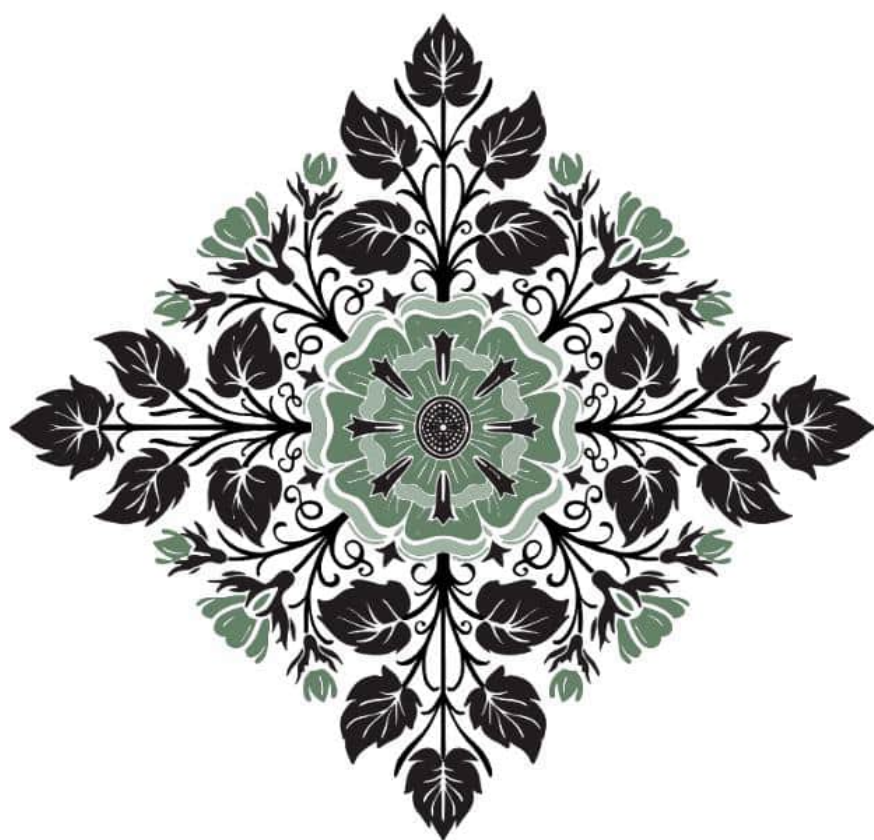
^٢ أي: الإمام الكبير الغزالي.



العشيق وأهله ومُخالطة أهلها خوفاً على قلوبهم من بذر الفساد، فكيف تراه يقول فيمن يُدخِل ولده مدارس النَّصارى، ويخالطوهم، ويتعلَّمون منهم ويعيشون معهم ليلاً ونهاراً عدَّة سنين! ما كان يخطر في بال أحد أنَّه يأتي على المسلمين زمانٌ يَقَع فيه من بعضهم مثل هذا الأمر الشَّنيع، والفعل الفظيع، وإذ قد وَقَعَ ذلك الآن في كثيرٍ من البلدان، وجب علينا الإنكار، وتمييز سبيل الجنَّة من سبيل النَّار.

انتهى كلامه ببعض حذفٍ وتصريف، وبه يتم ما تيسَّر كتابته في هذه الصَّفحات، وأسأل الله أن يعمَّ نفعه، وأن يكون لي نوراً بين يدي يوم النُّشور، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العليِّ العظيم، والصَّلَاة والسَّلَام على سيدنا محمَّد وآله وصحبه.

وكان الفراغ من تسويده عشية السَّبت، لستِّ بقين من شهر الله المحرم سنة ألف وثلاثمائة وثمانية وعشرين للهجرة.





فهرس الموضوعات

تقديم.....	٥
[المقدمة].....	٢٨
الفصل الأول: في التحذير من مدارس النصارى.....	٣١
الفصل الثاني: في لباس النصارى.....	٤٨
الفصل الثالث: في تعلّم اللّغة الأجنبيّة.....	٦٥
الفصل الرابع: في خلق اللّحي.....	٧٤
الفصل الخامس: في السّبب الذي دَخَلَ [بِهِ] النّصارى بلادَ الإسلام... ..	٧٨
الفصل السادس: في الحثّ على التّناصر والتّأزّر والاستعداد للعدوّ بما يُستطاع	
من القوّة والتّنبية على غوائله.....	٨٥
الخاتمة.....	٩٤
التّنبية الأوّل - في التحذير من مطبوعات النّصارى ونحوها.....	٩٤
التّنبية الثّاني - في الطّريق لتّهذيب الأطفال.....	٩٧